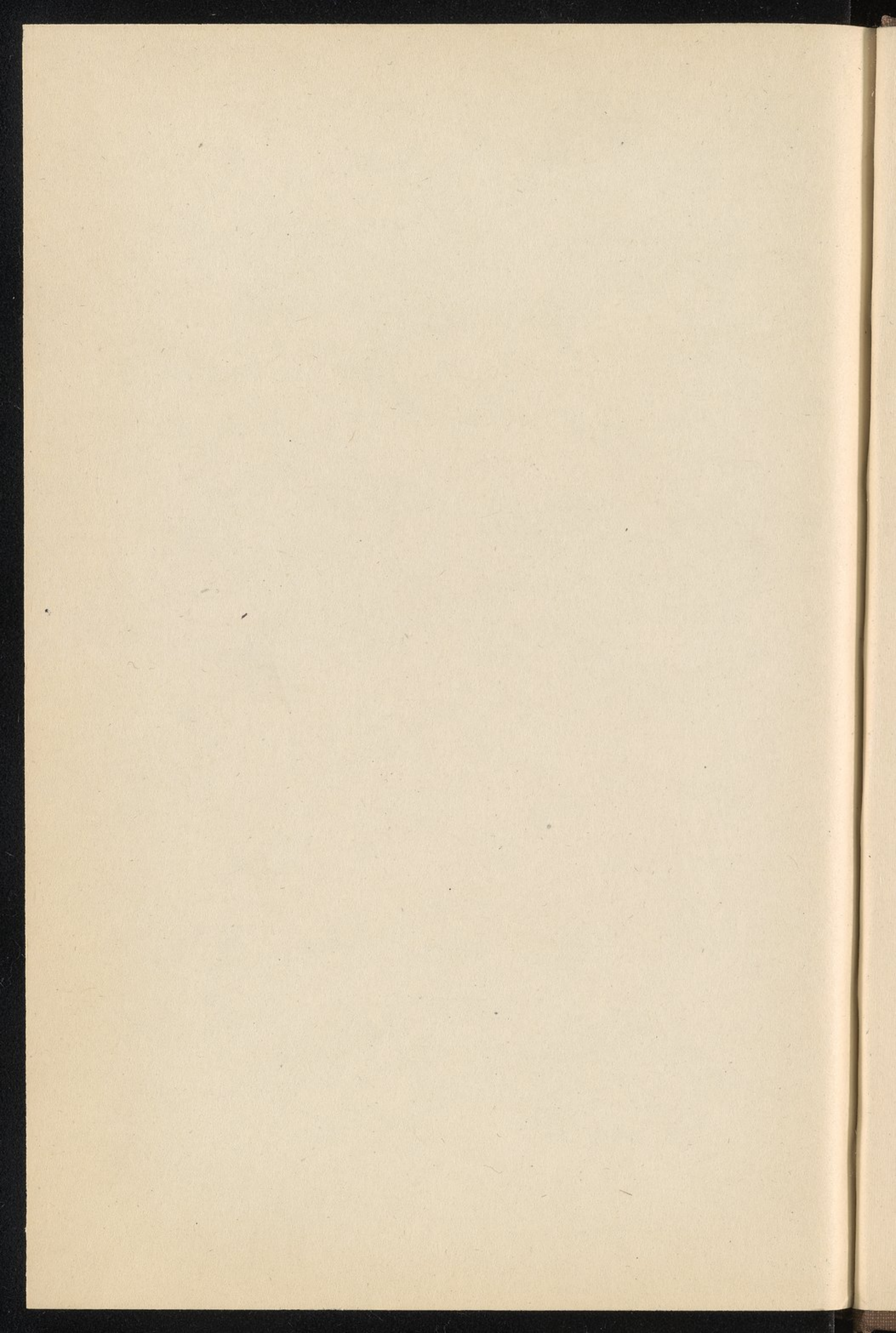
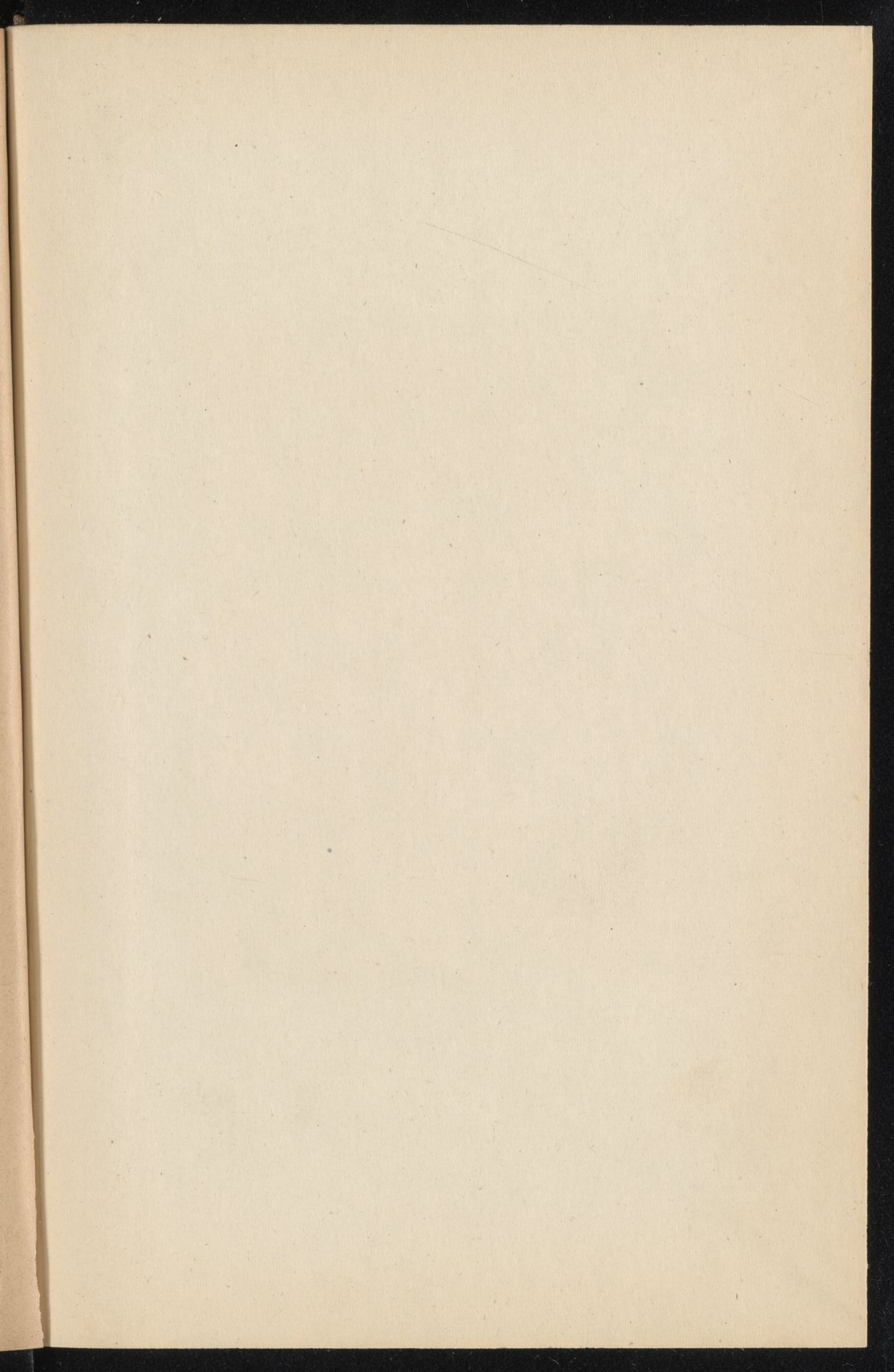
السيد

علي فكري

الآداب الإسلامية

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر





الآداب الإسلامية

تأليف



الأمين الأول ورئيس المغيرين
بدار الكتب المصرية سابقاً

الطبعة الأولى

١٣٥٦ — ١٩٣٧

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

قال عليه الصلاة والسلام : أَدَّبنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي

(عن ابن مسعود)

وقال أيضاً : أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا آدَابَهُمْ

(عن أنس)

وقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر :

كيف لا يسرنى أن تقوم الشبيبة مطالبة بالمحافظة على الآداب الإسلامية وبتعلم دينها ؟ معتقدة أن ما فى دينها من الفضيلة والأدب يردها إلى الطريق السوى، إذا ساورتها نزعات الشباب ؟

شيخ الجامع الأزهر

(المراغى)

الأهرام فى ٨ مارس سنة ١٩٣٧

كلمة

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد الحسينى الظواهرى من علماء الأزهر الشريف ومدرس بكلية أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، أنزل عليه القرآن تبياناً لكل شىء ، ناطقاً بكل أمر رشيد ، هادياً إلى صراط العزيز الحميد ، وأنزله على فترة من الرسل ليرشد به الأمة الى أشرف السبل ، فهداهم الى الحق ، فاضمحل الباطل ومحق

فمن اتبع هداه فقد فاز بمناه ، ومن عاداه واتخذ إلهه هواه فقد هام وفى موامى الزور وقع وتردى ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور صلى الله عليه وعلى آله الأبرار ، وصحبه الأخيار ، وعلى من تبعهم باحسان مدى الدهور والأزمان

وبعد فقد اطلعت على كتاب « الآداب الإسلامية » لجامعه الأستاذ السيد على فكرى فوجدته أحسن ما يبرز للعالم ، لينتفع به الجاهل والعالم فقد أتى صاحبه فيه على ما يجب أن يتحلى به الفرد والجماعة، لأنه استسقاه من المنبع العذب : (الكتاب والسنة) فمن عمل بما جاء فى هذا المؤلف فقد فاز بسعادة الدارين

كتاب يتحتم على كل مسلم اقتناؤه، لأنه المرشد إلى ما يصلحه فى معاشه ومعاده

ولما لمؤلفه من الغزارة فى المادة الدينية جاء هذا الكتاب آية كبرى فى بابه، وأعجوبة فى بيانه وإرشاده

أسأل الله جل ذكره أن يتولى جزاء مؤلفه، فلا يجازى على الصنيع البالغ أعلى درجة سواه، إنه بالاجابة جدير، وإنه نعم المولى ونعم النصير ؟

محمد الحسينى الظواهرى

٢١ ذى القعدة سنة ١٣٥٥ | من علماء الأزهر الشريف
٣ فبراير سنة ١٩٣٧ | ومدرس بكلية أصول الدين

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد : فيظن بعض الناس أن القرآن الكريم يشتمل فقط على الأحكام الشرعية ، والتكاليف الدينية ، فى العبادات والمعاملات الشخصية

ولكن من يتصفحه بإمعان ، ويدرسه بإتقان ، يجده يشتمل أيضاً على الآداب ومكارم الأخلاق ، التى تدعو الى التمسك بالمبادىء الأدبية ، والتخلق بالأخلاق الزكية ، والاتصاف بالصفات الحميدة ، فهو كما قال الله تعالى :

« لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا »

ولما كان أفضل الآداب (آداب القرآن) التى أدب الله بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم إذ قال : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى »

وجعله لنا فيه الأسوة الحسنة ، وفيها العبرة المستحسنة

ولما كانت أسس (الآداب الإسلامية) هى القرآن المجيد ، والحديث

الشريف ؛ لأنهما حافلان بالآيات البينات ، والأحاديث الباهرة الجامعة للآداب ومكارم الأخلاق ؛ وكان مبدئى وغايتى من التأليف، منذ وهبنى الله هذه الفكرة ودفعنى إليها حبى للدين وخدمة الإنسانية ، هو بث روح الفضيلة فى نفوس النشء والحث على التمسك بالقواعد والآداب الدينية

رأيت أن أضع فى هذا الكتاب الآيات القرآنية، الحاوية للآداب الشرعية ، مستخلصة من كتاب صديقنا المرحوم أحمد بك الزناتى (الصراط المستقيم) والأحاديث النبوية الصحيحة مقتطفة من كتاب (الأدب النبوى) لصديقنا المرحوم محمد عبد العزيز الخولى، فلهما فضل السبق فى هذا المضمار (أحسن الله إليهما وغفر لهما) مع إضافة ما من الله علىّ به من الهداية والارشاد

وهذه الآيات والأحاديث مفسرة ومشروحة بعبارة سهلة وجيزة حتى لا يتعب القارئ فى فهمها، ويكون لها الأثر الطيب فى نفسه، ولو عمل الإنسان بها لصلحت أحواله، ويلغ آماله، واستقامت أموره، وتمتع بالراحة والسعادة فى الدنيا والآخرة. وقد أسميته (**الآداب الإسلامية**)

والله تعالى أسأل أن يكون من وراء مطالعته ما أرجوه من الإصلاح والنفع العام، لجميع الأنام (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) فهو حسبى وكفى ؟

الفقير الى مولاه

السيد على فكرى

ابن المرحوم السيد محمد عبد الله الحكيم

مصر الجديدة فى يوم الخميس { أول ذى القعدة سنة ١٣٥٥
١٤ يناير سنة ١٩٣٧

١ - الأدب مع الله تعالى

أو حق الله على العباد

أولا - الآيات القرآنيــــة

اعلم أيها الإنسان أن الله تبارك وتعالى هو الذى خلقك وأوجدك من العدم حيث كنت فى بطن أمك نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، فما زلت تتقلب فى نعمة ربك ورحمته ، حتى ولدتك طفلاً ضعيفاً (وخلق الإنسان ضعيفا) لا تعلم من أمور الدنيا شيئاً ، ووهب لك لسانا تنطق به ، وعينين تبصر بهمـا ، وأذنين تسمع بهما ، ويدين تبطش بهمـا ، ورجلين تمشى بهما ، وعقـلاً تميز به الحق من البـاطل ، والنافع من الضار ، إلى أن صرت إنساناً كاملاً . قال الله تعالى :

« وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَاتَعْلَمُونَ شَيْئًاوَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » « النحل »

وهو الذى خلق السموات والأرض وما فيهما ، وأفاض على خلقه نعمه ظاهرة وباطنة ، وأعطاهم من كل شىء ، وسخر لإرادتهم سائر المخلوقات فى البر والبحر ، من ماء وهواء ، وأرض وسماء ، ونبات وحيوان وجماد ، ومهما عدوا من نعم الله عليهم فلن يحصوها ، قال تعالى :

« ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً

فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ . وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِ . وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَائِبَيْنِ. وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ. وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» «ابراهيم»

وقال تعالى :

« وَٱلْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ . وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى ٱللهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ، هُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ، يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ، وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ

ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ . أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ، وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ ٱللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ . » « النحل »

هذه الآيات كلها تدل على عظمة الخالق وقدرته، وعلى أنه الخالق المدبر للكون، المنظم لما خلق (الذى أحسن كل شىء خلقه) وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم

فهذا الإله العظيم القادر ، المنعم المتفضل على عباده فى كل لحظة بأنواع النعم ، له عليهم وعليك حقوق وواجبات قد بينها سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز ، سأذكرها لك مشروحة ومفسرة لتتدبر معانيها ، وتعمل بها، لتفوز برضا الله وقبوله ، وتكون من السعداء فى الدارين وهى :

العبادة ـ فأول حق وواجب أن تعبد الله حق عبادته كأنك تراه ، وذلك باستحضار قدس ذاته العلية، وتمثيل عظمته تعالى أمامك ، واطمئنان نفسك بالمثول بين يديه ، واستخلاص قلبك من جميع الشواغل الدنيوية ، قال الله تعالى :

« وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » « الذاريات »

فَالعبَّاد خلاصة شجرة المخلوقات ، وقال تعالى :

« يَاأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » « البقرة »

يقول الله تعالى ذكره : (يأيها الناس) المكلفون ممن وجدوا فى عصر الخطاب الالهي ، ومن سيوجد إلى قيام الساعة (اعبدوا) أى وحدوا وأطيعوا (ربكم) أى خالقكم مع التذلل والخضوع له واجتنبوا عبادة غيره من الأوثان والأصنام وممن هو خلق مثلكم ، فإنه تعالى هو (الذى خلقكم) أى أوجدكم من العدم (والذين) أى وخلق الذين كانوا (من قبلكم) من الأمم السابقة وخلق أوثانكم وآلهتكم وغيرهم مما لاتعلمونه من المخلوقات

ومن فعل هذا وحده فلا شك أنه الإله القادر على ضركم ونفعكم فهو أولى وأحق بالعبادة، والخضوع إليه، والإخلاص له بالطاعة

وقد بين الله تعالى لكم ما ذكر (لعلكم تتقون) أى لتكونوا راجين منه تعالى الانتظام فى زمرة الفائزين بالهدى والفلاح

وقال تعالى : « وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ » « الاسرى »

أى أمر أمراً جازماً وحكم حكماً قاطعاً بتوحيده وعبادته

فالعبادة لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى خالصة فلا يعبد غيره أى لايشرك غيره فى العبادة اشراكاً ما ولو مراءاة، فصاحب الرياء كالمشرك

لقوله تعالى : « فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » « الكهف »

وقال الله تعالى : « أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ »
« يس ٦١ »

يقول الله تعالى ذكره : (ألم أعهد إليكم) أى ألم أوصكم (يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان فإنه لكم عدو مبين . وأن اعبدونى) فإن عبادتى هى (الصراط المستقيم) الذى من تمسك به لا يضل أبدا ويفوز بجنة النعيم

وقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ. وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ. وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » « الحجر »

المعنى — اجهر يامحمد بالحجة ، وأعرض عن المشركين ، إنا حفظناك من المستهزئين ، من صناديد مكة ،فلن يصلوا إليك بأذى ، ونحن نعلم أنه يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزاء بك فافزع الى الله بالتسبيح والحمد ، وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى

يأتيك اليقين (الموت) أى فاعبد الله ما دمت حياً ، فهو ملجأ أمرك ، ومنتهى أملك .

وقال تعالى : « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ »

« البينة »

المعنى ـ أن اليهود والنصارى ما أمروا إلاّ ليعبدوا الله، مخلصين له فى الدين، مائلين عن العقائد الزائفة، ويقيموا الصلاة، ويؤدوا الزكاة وذلك دين الملة القيمة السمحاء

وقد بين الله تعالى حالة الذين لا يستكبرون عن عبادته فقال :

« إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ « الاعراف »

المعنى ـ (إن الذين عند ربك) أى ان الذين شرفهم الله بالقرب من عنايته وألطافه ورحمته (لا يستكبرون عن عبادته) بل يؤدونها حسبما أمروا به (ويسبحونه) أى وينزهونه من كل ما لا يليق بجناب كبريائه (وله) أى ولربهم (يسجدون) أى يخضعون بغاية العبودية والتذلل ولا يشركون معه شيئاً

ثم ان الله تعالى ذكر فى هذه الآية التسبيح أولا والسجود ثانياً وهذا الترتيب يدل على أن الأصل فى الطاعة والعبودية أعمال القلوب ، ويتفرع عليها أعمال الجوارح

قال الشيخ ناصيف اليازجى اللبنانى فى الحث على عبادة الخالق:

قم فى الدجى يأيهـــا المتعبد	حـتى متى فوق الأسرة ترقد
قم وادع مولاك الذى خلق الدجى	والصبح وامض فقد دعاك المعبد
واسـتغفر الله العظيم بذلة	واطلب رضاه فإنه لا يحقـد
واندم على مافات واندب مامضى	بالأمس واذكر مايجىء به الغدُ
واضرع وقل يارب عفوك اننى	من دون عفوك ليس لى ما يعضد
يارب مالى غـير لطفـك ملجأ	ولعـلنى عن بابه لا أطـرد
يارب هب لى توبة أقضى بهـا	ديناً عـلىّ به جـلالك يشهد
أنت الخبير بحـال عبدك انه	بسلاسل الوزر الثقيل مقيّد
أنت المجيب لـكل داع يلتجى	أنت المجير لـكل من يستنجد
من أىّ بحر غير بحرك نستقى	ولأى باب غير بابك نقصد

فالواجب عليك أيها الإنسان أن تعبد ربك عبادة خالصة لوجهه وقل: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك

وقال تعالى: « فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ »

أى لا تتخذوا لله شركاء فى الألوهية، وأنتم تعلمون أن هذه الأشياء التى تعبدونها لا يصح جعلها شركاء لله تعالى

وعبادة الله المرجوة القبول تكون بالإخلاص فيها وذلك بمراقبته فى جميع حركاتك وسكناتك وملاحظته أنه يراك وان لم تكن تراه، لقوله تعالى: « وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ » ولقوله صلى الله عليه وسلم:

« الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ »

وعبادة الله تعالى فرض على كل مسلم ومسلمة، وهى راجعة إلى فائدة البشر ومصلحتهم أنفسهم ، إذ الله تعالى أجل وأعز من أن تفيده عبادة عابد،أو أن يضره كفر كافر

فالحكمة فى العبادة وأسرارها الأدبية هى روحها وقوامها الى الخلق من ثواب وعقاب وقرب وبعد

وأنواع العبادة خمسة ، وهى مذكورة فى الحديث الصحيح :

« بُنِىَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، وإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً »

وهذه العبادات مشروحة بالتفصيل فى كتاب (أركان الإسلام للمؤلف)

التقوى — مراقبة الله تعالى وخشيته فى السرّ والعلانية، والخوف من عقاب الله والسعى الى مرضاته بما أمر به ، والابتعاد عما نهى عنه ، وذلك لا يكون إلا بالتقوى

ولذا أمر الله جل شأنه فى القرآن الكريم بالحث عليها ، مبينا مايترتب عليها من حميد الخصال ، وجميل الفعال ، ورفيع الدرجات ، وعظيم الخيرات فقال جل شأنه :

١ – « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » « الحشر »

الشرح والتفسير

ترشد هاتان الآيتان إلى ثلاثة أمور :

الأول ـ الحث على التقوى ، وهى امتثال ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه ، وهى قوله :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ »

الثانى ـ الحث على العمل الصالح ، ومحاسبة الإنسان نفسه قبل أن يحاسب ، والنظر فيما قدمه من الأعمال الصالحة ليوم معاده، وعرضه على ربه ومناقشته الحساب ، وإلى هذه المحاسبة يشير الله تعالى بقوله :

« وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ »

أى حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وانظروا ما ادخرتم لها من الأعمال الصالحة يوم عرضكم على ربكم ، واعلموا أن الله تعالى عالم بجميع أحوالكم وأعمالكم ، لا تخفى عليه منكم خافية ، فيجازيكم عليها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر ، كما قال تعالى :

« فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » « الزلزلة »

الثالث ـ الحث على مداومة ذكر الله تعالى، وأداء الحق الواجب له وفى ذلك يقول الله تعالى :

« وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » « الحشر »

أى يأيها الذين آمنوا لا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل الصالح الذى ينفعكم فى معادكم، فإن الجزاء من جنس العمل ، ولذا قال تعالى : (أولئك هم الفاسقون) أى الخارجون عن طاعة الله تعالى الخاسرون يوم القيامة، كما قال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » «المنافقون»

وقد بين الله تعالى ما يترتب على التمسك بالتقوى من الفوز العظيم والتوفيق لصالح الأعمال ، وتكفير الذنوب والخطايا ،فقال عز وجل :

٢ ـ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا » « الأحزاب »

الشرح والتفسير

المقصود من هاتين الآيتين : حث المؤمنين على تقوى الله وأن يعبدوه عبادة من يسمعهم ويراهم ، وأن يقولوا قولاً سديداً، أى مستقيماً، لا اعوجاج فيه، ولا انحراف عن الحق فيه، ووعدهم إن فعلوا ذلك أن يثيبهم عليه أجراً عظيماً، ويمنحهم من كرمه فضلاً جزيلاً ، وخيراً عميماً، بأن يصلح لهم أعمالهم أى يوفقهم للأعمال الصالحة ، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية، ومايقع منهم فى المستقبل يلهمهم التوبة منه. لقوله تعالى :

« وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ »

وبعد أن حث الله عز وجل على التقوى وبين مايترتب عليها من التوفيق لصالح الأعمال وتكفير الذنوب قال : (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) أى ظفر بالخير ظفراً عظيما سواء فى الدنيا أو فى الآخرة

٣ ـ والتقوى من الأسباب التى تقرب العبد من مولاه ، وتدعو لفلاحه وسعادته ، بدليل قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَٱبْتَغُوا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » « المائدة »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى أنواع الأدب مع الله تعالى وهى ثلاثة :

الأول ـ اتباع أوامره، واجتناب نواهيه ومحارمه ، وهذا هو المراد من قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله)

الثانى ـ طلب التقرب إلى الله بجميع أنواع البرّ والخير ، والطاعات والعبادات، وترك المعاصى والموبقات، وهذا هو المراد من قوله تعـالى : (وابتغوا إليه الوسيلة)

الثالث ـ مجاهدة النفس فى سبيل الله، والعمل بشرائعه، التى شرعها وسنها لعباده، وذلك بأن يروض نفسه على فعل الخيرات وعمل الطاعات ويكبح جماحها من الشهوات والمنهيات

وقد وعد الله جل شأنه من تأدب معه بهذه الآداب بالفلاح والسعادة الخالدة، وذلك بقوله : (لعلـكم تفلحون)

ع ـ وقد حث الله على التقوى وشدد فى ذلك فقال :

« يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » « آل عمران »

المعـنى

(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله) أى خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه (حق تقاته) أى واجب خوفه، وهو أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى ، وأن تقولوا الحق ولو على أنفسكم

(ولا تموتن) أيها المؤمنون بالله ورسوله (إلا وأنتم مسلمون) لربكم أى خاضعون له بالطاعة، مخلصون له فى الإقرار بالوحدانية والألوهية

٥ ـ ثم ان التقوى تنجى الإنسان من الشدة والكرب، وتجعل له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجا ، وتساعده على اكتساب رزقه من حيث لا يدرى، بدليل قوله تعالى :

«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»

« الطلاق »

المعنى

أى من يخاف الملك الأعظم ، ويجعل بينه وبين مايسخطه وقاية بما يُرضيه، وهو اتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، يجعل له بسبب التقوى مخرجاً، أى مخلصاً من كل شدة ، ويرزقه من حيث لا يدرى ، كما قال فى آية أخرى :

« وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا » « الطلاق »

٦ ـ والتقوى أيضاً من أسباب تكفير السيئات ومحوها، لقوله تعالى:

«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا» «الطلاق»

المعنى

أى من يخف الله وينفذ أحكامه ، ويراع حقوقه، يمح عنه سيئاته ويعظم له أجراً ؛ بأن يبدل سيئاته حسنات ، ويوفيه أجرها فى الدارين مضاعفة فيفوز فوزاً عظيماً

٧ ـ وقال الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » « النحل »

المعـنى

(إن الله مع الذين اتقوا) أى إن الله ولى الذين انقطعوا إليه بالـكلية وتباعدوا عن كل ما يشغلهم عنه، فلم يخطر ببالهم شئ من مطلوب يرغب فيه، أو محذور يخاف منه، ولا يحزنهم مافات، ولا يخيفهم مايقع ، فهؤلاء هم الذين يتولاهم ربهم ، أى يـكون ربهم وليهم ، أى حافظهم وناصرهم ومتولى أمورهم

ثم قال تعالى : (والذين هم محسنون) أى وإن الله مع الذين يأتون بالأعمال الصالحة على وجهها المؤدى إلى حسنها الوضعى والذاتى

٨ ـ هذا والمسلمون فى جميع بقاع الأرض متساوون ليس لواحد منهم على الآخر فضل إلا بالتقوى، والأعمال الصالحة، كما قال تعالى :

« يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ »

«الحجرات»

أى إن الأكرم عند الله تعالى، والأرفع منزلة لديه عزوجل فى الآخرة والدنيا ، هو الأتقى ، فإن فاخرتم فتفاخروا بالتقوى لا بالغـنى والثروة والحسب والنسب ، فإن مدار كمال النفوس، وتفاوت الأشخاص، لا يكون إلا بالتقوى ، فمن رام العلو فعليه بالتقوى

وفى الحديث الشريف عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله يوم القيامة ـ « يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى جَعَلْتُ نَسَبًا وَجَعَلْتُمْ

نَسَباً فجعلتُ أكرمكم عند الله أتقاكم فأبيتم إلا أن تقولوا فُلانُ بنُ فلانٍ وفلانٌ أكرمُ من فلانٍ وإني اليومَ أرفعُ نسبي وأضعُ نسبكم ألا إن أوليائي المتقون »

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على التقوى ، وكذا الأحاديث النبوية فى هذا الباب أكثر من أن تحصى ، اكتفينا هنا بذكر بعضها

وقال ابن الوردى فى مدح التقوى :

واتق الله فتقوى الله ما ... جاورت قلب امرئ إلا وصل
ليس من يقطع طرقاً بطلا ... إنما من يتق الله البطل

وقال صالح بن عبد القدوس :

عليك بتقوى الله فالزمها تفز ... إن التقى هو البهى الأهيب
واعمل بطاعته تنل منه الرضا ... إن المطيع لربه لمقرب

وقال آخر :

واشدد يديك بحبل الله معتصما ... فإنه الركن إن خانتك أركان
من يتق الله يحمد فى عواقبه ... ويكفه شر من عزوا ومن هانوا

الطاعة : وقد بين الله جل ذكره أن طاعته تعالى ، وطاعة رسوله ومراقبته والخشية منه، سبب الفلاح والفوز بالسعادة الأبدية فقال :

« وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ » « النور »

المعـنى

أى أن طاعة الله ورسوله، والخشية منه جل شأنه، والخوف منه فيما مضى من الذنوب ، وحفظ النفس من اقترافها فى المستقبل ، سبب للفوز والسعادة الأبدية، والأمن من كل شر فى الدنيا والآخرة ، لأن من أطاع الله ورسوله، واتبع ما أمرا به، واجتنب ما نهيا عنه، وخشي الله تعالى وخاف عقابه ، وندم على مافعله من الذنوب، وراقب جانبه حتى لا يقع منه ذنب فى المستقبل ، فاز بحب الله

ومن أحبه الله منحه الفضل الجزيل والخير العميم وأدخـله فى دار النعيم

ولله در القائل :

تعصى الإله وأنت تظهر حبـه • هذا لعمرى فى القيـاس بديع
لو كان حبـك صادقاً لأطعتـه إن المحب لمن يحب مطيـع

محبة الله : أما محبة الله تعالى فتـكون بمحبة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه، لقوله تعالى :

« قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُوا ٱللهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَافِرِينَ » « آل عمران »

المعنى ـ يقول الله تعالى ذكره : (قل) يا محمد لمن يدعى أنه يحب الله ولم

يتبعك (إن كنتم) أيها المدعون محبة ربكم (تحبون الله) محبة خالصة وتريدون منازل القرب عنده، لتنالوا فى الآخرة مشاهدة أنوار جماله وتفرحوا بلقائه وبجوار أنسه (فاتبعونى) أى فاقتدوا بى فى أقوالى وأفعالى . فإذا سلكتم طريقتى (يحببكم الله) ويجعلكم من أهل القرب منه والتنعم بمشاهدته، فإنى حبيب الله، فكل من يدعى محبته لزمه اتباعى لأن محبوب الحبيب محبوب

فإذا اتبعتمونى وسلكتم طريقتى فى القول والعمل ظاهراً وباطناً يرفعكم الله مكاناً علياً (ويغفر لكم ذنوبكم) أى يستر عيوبكم ولم يعاقبكم على ذنوبكم (والله غفور) لمن أخطأ فى عمله، ثم أخلص فى التوبة بعد ما ظهر الحق (رحيم) أى محسن له . ثم لما أنزل الله هذه الآية قال المنافقون : إن محمداً يريد أن نجعل طاعته ومحبتنا له كطاعة النصارى ومحبتهم لعيسى عليه السلام ، ويأمرنا بذلك من غير أن يخبره الله به فأنزل الله تعالى : (قل) لهم يامحمد (أطيعوا الله) أى اتبعوا أوامره واجتنبوا نواهيه (والرسول) فى كل ما يأمركم به وينهاكم عنه فإنه من عندى (فإن تولوا) أى فإن أعرضوا عن اتباع الله ورسوله (فإن الله لا يحب) أى لاينظر بعين الرضا والرحمة إلى (الكافرين) أى المشركين المنكرين لوحدانية الله تعالى :

وفى الحديث القدسي عن رب العزة : (من تقرب إلىّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلىّ ذراعاً تقربت إليه باعاً)

فالمرء إذا أحب الله تعالى حباً خالصاً عاملا بأمره منتهياً بنهيه، أحبه

الله وجزاه على حبه له من القيام بأمور الطاعات أضعافاً مضاعفة، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وجعله من أوليائه وأصفيائه الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون، وهذا منتهى الرضا وتمام السعادة؛ لأنه بالحب والإخلاص تنتظم أمور المرء، وتستقيم أحواله، وتصفو له الموارد والمصادر فى الحياة الدنيا، وينال حسن الثواب فى الحياة الآخرة، ونعم أجر العالمين

ولله در ذلك الشاعر الحكيم الذى جذبته وأدهشته عظمة الخالق جل شأنه فانصرف بكليته إلى حبه فقال :

كانت لقلبى أهواء مفرقة
فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى
فصار يحسدنى من كنت أحسده
وصرت مولى الورى إذ صرت مولائى
تركت للناس دنياهم ودينهم
شغلا بذكرك يادينى ودنيائى

الشكر لله : ومن الأدب مع الله أن يشكره الإنسان على ما أنعم به عليه من الرزق لقوله تعالى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ » « البقرة »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية إلى أن التوسع فى الأكل الحلال، والاستكثار من

لذيذ الأطعمة ليس ممنوعاً منه ، وهذا المراد من قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم) أى من لذيذ ما أعطيناكم من الرزق وترشد أيضاً إلى شكره تعالى على مارزقكم، إن صح أنكم تخلصون له بالعبادة، وتقرون أنه هو المنعم المتفضل عليكم لاغيره، وهذا المرادبقوله :

(واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون)

لأن الشكر رأس العبادة، فيجب على العبد أن يشكر مولاه على النعم ظاهراً وباطناً، فشكره ظاهراً هو أن يذكر العبد نعم الله تعالى عليه، ويحصرها بلسانه بقدر ما يمكنه ، وشكره باطناً هو أن يستعين بنعمته على الطاعة لا على المعصية

وقال بعض الشعراء فى هذا المعنى :

أوليتنى نعماً أبوح بشكرها ... وكفيتنى كل الأمور بأسرها

فلأشكرنك ماحييت فإن أمت ... فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

ذكر الله تعالى : كما أمرنا الله بشكره ، أمرنا بذكره ، فقال تعالى :

« فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ »

« البقرة »

الشرح والتفسير

إن الله سبحانه وتعالى كلفنا فى هذه الآية الكريمة بأمرين وهما : الذكر، والشكر، فقال تعالى : (فاذكرونى) أيها العباد بالطاعة (أذكركم)

بالثواب (واشكروا لى) بما أنعمت به عليكم من النعم (ولا تكفرون) بإنكارها، وعصيان ما أمرتكم به

واعلم أن الذكر الذى أمرنا الله تعالى به فى هذه الآية هو : أن العبد يحمده ويسبحه ويمجده، ويقرأ كتابه العزيز بلسانه وحضور قلبه معاً، وأن يتفكر فى الدلائل على وجود ذاته تعالى وصفاته، وفى الأجوبة عن شبه الطاعنين فيها، وفى الدلائل على كيفية تكاليفه وأحكامه، وأوامره ونواهيه ، ووعده ووعيده ، ليعمل بمقتضاها

ثم يفكر فى أسرار المخلوقات وعجائبها ، ويكون الذكر بالجوارح وهو أن تكون جوارح العبد مستغرقة فى الأعمال المأمور بها، متباعدة عن الأشغال المنهى عنها ، فذكر الله تعالى كل عمل له تعلق بالثواب وإظهار الرضا واستحقاق المنزلة والإكرام، وقال الله تعالى :

« وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ » « الأعراف »

الشرح والتفسير

خاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بهذه الآية وهى فى الحقيقة خطاب لعموم المكلفين، فأمرهم فيها بأن يذكروه تعالى فى أنفسهم ؛ لأن انتفاع الإنسان بالذكر لا يكمل إلا إذا كان بهذه الصفة، ولأن الذكر فى النفس أقرب إلى الإخلاص فى الإجابة

فلهذا أمر الله تعالى به فى جميع الأحوال فقال : (واذكر) أيها

المؤمن (ربك) أى المربى الحقيقى لك والمنعم عليك (فى نفسك) أى فى قلبك مخلصاً له، ومجتنباً عن الرياء، وعارفاً بمعانى الأسماء التى تذكره بها

وافعل هـذا الذكر (تضرعاً) أى متضرعاً وخاضعاً لإلهك (وخيفةً) أى وخائفاً منه. فالتضرع لإظهار ذل العبودية، والخوف منه إما أن يكون خوفاً من عقابه، وهو مقام المذنبين ، وإما أن يكون خوفاً من جلاله وعظمته وهيبته ، وهو مقام العارفين ، فإذا انكشفت لهم حقيقة جلاله صاروا مدهوشين ، وإما أن يكون خوفاً من الخاتمة عند الموت، نسأل الله حسنها (ودون الجهر من القول) أى واجعل هذا الذكر متوسطاً بين الجهر والإخفاء بأن يكون على طريقة يسمع الذاكر نفسه بها فقط

وإنما أمر الله تعالى أولا بالذكر القلبى؛ لأنه تحصل منه قوة فى النفس ولا يزال يتزايد نوره إلى أن يجرى على اللسان، بل يسرى فى جميع أعضاء الذاكر وجوارحه، سرياناً معتدلا خالياً عن التكلف. فالزم أيها الذاكر ذكر الله تعالى (بالغدو) أى فى وقت الغداة الذى هو ما بين طلوع الشمس إلى الزوال (والآصال) أى فى وقت الآصال الذى هو ما بعد العصر إلى المغرب

وإنما أمر الله تعالى عباده بالذكر فى هذين الوقتين ، لأن المكلف فى وقت الغداة ينتقل من النوم الذى هو كالموت إلى اليقظة ، التى هى كالحياة، فيتحول من الظلمة التى هى طبيعة عدمية إلى النور الذى هو طبيعة وجودية ؛ وفى وقت الآصال ينتقل من ضد الأول إلى ضد الثانى

ولما كان فى هذين الوقتين تغير عجيب يدل دلالة باهرة على وجود صانع قدير حكيم خبير، وجب أن يكون المكلف فيهما مشتغلا بالذكر والحضور، مداوماً عليهما بقدر الإمكان، فلازمهما أيها المؤمن (ولا تكن) فى حال من الأحوال (من الغافلين) أى من اللاهين عن ذكر الله؛ بل كن من الذين يداومون عليه، والمستحضرين لجلال الله وكبريائه، بحسب الطاقة البشرية، ليتنور جوهر نفسك، وتستعد لقبول الإشراقات القدسية فتكون متشبهاً بالملائكة الروحانية الكرام

ولله در الشاعر الذى قال ترنماً بذكر الله :

خيالك فى عينى وذكرك فى فمى ومثواك فى قلبى فأين تغيب ؟

وقد نهى الله عن إطاعة من غفل قلبه عن ذكر الله واتبع هواه وكان من المفرطين فقال تعالى :

« وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا » « الكهف »

وقال تعالى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا » . « الأحزاب »

الشرح والتفسير

أمر الله تعالى فى هذه الآية عباده المؤمنين بما يجب أن يكونوا محافظين

عليه من الذكر الكثير، ودوام التسبيح الدال على تعظيمه تعالى، وتنزيه ذاته عن كل نقص، ويلزم من كثرة الذكر ودوام التسبيح الإقبال على الله تعالى بجميع العبادات، والتباعد عن السيئات، فلهذا خاطب الله تعالى المؤمنين خاصةً فقال :

(يأيها الذين آمنوا) إيماناً يقيناً (اذكروا الله ذكراً كثيراً) باللسان وحضور القلب والإخلاص مع تمام المناجاة فى السرّ ، بحيث لا تشاهدوا فى حالة ذكركم إلا ذاته العلية وأنتم عارفون به ، فيظهر حبكم لله تعالى وبغضكم لغيره (فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره) ومتى ظهرت محبتكم لله تكونوا من الأحرار المقربين فتتخلصوا من رق الأشرار المحرومين

ومتى كنتم من الأحرار المقربين تكفيكم هذه الإشارة الإلهية له فإن الحر تكفيه الإشارة، ولا يحتاج إلى العبارة

(وسبحوه) أى ونزهوه تعالى عما لا يليق به (بكرةً) أى فى أول النهار (وأصيلاً) أى فى آخره

وقد أمر الله تعالى بالتسبيح فى هذين الوقتين لظهور فضلهما على سائر الأوقات، وهذا لا ينافى أن التسبيح مطلوب فى كل وقت

الذكر الشرعى

أما الذكر الشرعى الذى يحبه الله ورسوله وأصفياء الأمة المحمدية ويؤجر عليه فاعله،فهو ما ورد به كتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وضبطه الأئمة الذين يعول عليهم، وهو قول : (لا إله إلا الله)

والحذر كل الحذر من اللحن فيها ، لأنها من القرآن فيمد اللام على قدر الحاجة، ويحقق الهمزة المقصورة بعدها،ولا يمدها أصلا، ويفتح هاء (إله) فتحة خفيفة ولا يفصل بين الهاء وبين (إلا الله)

ويحترز من تمطيط الذكر والعجلة الشديدة؛لأنها تخرج الذكر عن حده ، فالميزان ألاَّ يخرجوه عن حده الشرعى

وبعض العوام من أهل الذكر يزيدون حروفاً كثيرة فى كلمة التوحيد كقولهم : (لايلاها ايلا الله) وكلها حرام بالإجماع فى جميع الأوقات فهم يذكرون الله تعالى ، ويعبدونه بالسيئات، فيصيرون من الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً

ولا يجوز الرقص فى الذكر، الذى هو هز المعاطف والأكمام ، وكله حرام فى حرام، ولا التصفيق فإنه مناقض للشرع الشريف، وهو بدعة سيئة، ولا يفعله إلا الفساق من العوام

ويرحم الله الإمام عبد الرحمن الأخضرى إذ يقول :

ومن شروط الذكر ألا يسقطا بعض حروف الإسم أو يفرطا
فى البعض من مناسك الشريعه عمداً فتلك بدعة شنيعه
والرقص والصراخ والتصفيق عمداً بذكر الله لا يليق
وإنما المطلوب فى الأذكار الذكر والخشوع بالوقار
فقد رأينا فرقة إن ذكروا تبدعوا وربما قد كفروا

الدعاء لله : وقد أدب الله تعالى عباده المؤمنين أدباً يوصلهم إلى السعادة الأبدية ، وبين لهم فيها أنه تعالى مطلع على بواطن العبد وضمائره

وبين لهم أيضاً أن قربه تعالى من عبده أشد من قرب قلبه ، فقال :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ »

« الأنفال »

الشرح والتفسير

(يأيها الذين آمنوا) أى الذين صدقوا بالله ورسوله تصديقاً كاملا فتنورت قلوبهم وأرواحهم بنور الإيمان ، وانجلت بسعادة العرفان (استجيبوا) أى أطيعوا وامتثلوا (لله وللرسول) بالمتابعة (إذا دعاكم) أى إذا حرضكم وحثكم الرسول (لما) أى للحق والصواب الذى (يحييكم) الحياة الطيبة ، فيدخل فى ذلك الإيمان والقرآن والجهاد وكل أعمال الطاعة ، فإن بهذا كله تحصل الحياة الأبدية ، كما أن الجهل هو الموت الحقيقى

(واعلموا) أيها المؤمنون (أن الله) تعالى (يحول) أى يفصل (بين المرء وقلبه) فيحول تعالى بين الكافر وطاعته فيصير من الأشقياء ويحول بين المطيع ومعصيته فيصير من السعداء

فالسعيد من أسعده الله أزلا ، والشقى من أضله الله أزلا ، والقلوب كلها بيد الله يقلبها كيف يشاء ، فيخلق فيها المقاصد والدواعى والعقائد على حسب ما يريد

فجميع الأسباب راجعة إليه سبحانه وتعالى ، وليس فى الكون مسبب غيره

فبادروا إلى الأعمال الصالحة، ولا تعتمدوا على طول العمر، فإنكم خلقتم إما مثابين فيكون مصيركم إلى الجنة، وإما معاقبين فيكون مصيركم إلى النار ، ولا تتركوا ما أمركم الله به مهملين معطلين كالأنعام، واعلموا (أنه) تعالى (إليه تحشرون) لا إلى غيره، فيجازيكم بحسب مراتب أعمالكم

الدعاء المستجاب

مرّ إبراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس إليه وقالوا :

يأبا اسحق مالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟

قال : لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء :

الأول ـ أنكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه ـ الثانى ـ زعمتم أنكم تحبون رسوله ثم تركتم سنته ـ الثالث ـ قرأتم القرآن ولم تعملوا به ـ الرابع ـ أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها ـ الخامس ـ قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه ـ السادس ـ قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها ـ السابع ـ قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها ـ الثامن ـ قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له ـ التاسع ـ انتبهتم من نومكم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم ـ العاشر ـ دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم

فالعاقل من يتعظ بهذه النصائح الدينية الأدبية ويعمل بها ليكون دعاؤه مستجاباً

وقد حث الله على الدعاء ورفع أكف الضراعة فإنه يقبل دعوة الداعى إذا دعاه ويجيب سؤله ، وأوعد المستكبرين عن عبادته بالدخول فى نار جهنم فقال تعالى :

« وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ » « المؤمن »

التفسير

(وقال ربكم) أيها العباد (ادعونى) أى اسألونى واطلبوا منى ما فيه الحكمة والمصلحة لكم وأنتم معترفون بالذلة والمسكنة والعبودية والإخلاص إلى غير ذلك غير معتمدين على ما لكم أو جاهكم أو أقاربكم أو أصدقائكم ، أو جدكم واجتهادكم ، فإنكم إن دعوتمونى على هذا الشرط (أستجب لكم) أى أجب سؤلكم (إن الذين يستكبرون) أى يتعاظمون ويتكبرون (عن عبادتى) أى عن دعائى الذى هو أعظم أبواب عبادتى فلا يدعوننى بالتضرع والخضوع ، بل تتصف أنفسهم بصفة الكبر والعظمة (سيدخلون جهنم داخرين) أى صاغرين مقهورين ؛ لأن الكبرياء والعظمة من صفات الله تعالى ، فمن نازعه فى صفته استحق هذا العذاب ، وإلى الله المآب

تعظيم الله — وقد أرشدنا الله جل ثناؤه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم إلى كيفية تعظيمه والثناء عليه ، وأرشدنا أيضاً إلى أننا إذا طلبنا منه شيئاً نكون معتقدين أنه إذا تفضل بخير على عباده لا يمكن

لغيره أن يمنعه ، واذا أحرمه منه لا يمكن أحداً غيره أن يعطيه له فانه لامانع لما أعطى، ولا معطى لما منع، وان الخير والشر كله منه تعالى فقال :

« قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » « آل عمران »

الشرح والتفسير

(قل) يا محمد (اللّهم) أى يا ألله (مالك الملك) أى يامالك كل الملك فلا يتصرف فيه تصرف الملاك غيرك . فهو سبحانه وتعالى مالك لأفعال العباد حتى ان قدرتهم على كل ما يقتدرون عليه ظاهراً من أى فعل لا تكون إلا بإقداره تعالى ، فهو الذى يُقدر كل قادر على فعل ما يقدر عليه،ويملك كل مالك مملوكه ، فهو المالك والمتصرف، والمؤثر فى الحقيقة

ثم بعد أن أجمل جميع الملك فصل فى بعضه فقال : (تؤتى) أى تعطى يا الله (الملك) أى التسلط الظاهرى ، وهو الاقتدار على المال بجميع أنواعه،وعلى الجاه كالهيبة والوجاهة والغلبة ونفوذ الكلمة

تعطى كل ذلك من (تشاء) أى لمن تريد أن تعطيه له بفضلك لا بوجوب عليك ، فتجعل من ملكته ملكاً بارادتك متسلطاً عليه

بالملـكية فى الظاهر ، فأنت تعطى (وتنزع) أى تأخذ (الملك ممن تشاء) أيضاً وذلك بأن تجعله فى يد غيره يتصرف فيه ؛ ولـكن فى الحقيقة ليس فى الوجود سواك ، فأنت المتصرف فيه على كل حال ، وإنما ينقل الملك من يد الى يد حسب إرادتك . (وتعز من تشاء) أى تجعـله عزيزاً بإلقاء نور من أنوار عزتك عليه (وتذل من تشاء) أى تجعله ذليـلاً بسلب تلك الأنوار عنه . وتـكون العزة والمذلة فى الدنيا والآخرة

فالعزة فى الدنيا كإعطاء الأموال الـكثيرة ، وإلقاء الهيبة فى قلوب الخلق والتقوى ، والعزة فى الآخرة بالدرجاتِ العليا

والمذلة فى الدنيا كسلب العقل السليم الفارق بين الحق والباطل

والمذلة فى الآخرة كالحرمان من الدرجات العليا

وكل ذلك بتقديره الأزلى تبارك وتعالى فـكأنه يقول :

يا ألله أنت المالك والمعطى والآخذ والمعز والمذل

ويحصل (بيدك) أى بقدرتك (الخير) أى جميع الخيرات وليس فى يد غيرك شىء منها (إنك على كل شىء قدير) أى قادر على فعل كل شىء (تولج) أى تدخل (الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل)

وذلك بأن يجعـل الله الليل قصيراً ويدخل ما نقص منه فى النهار ويجعل النهار قصيراً ويدخل ما نقص منه فى الليـل ، فإن فى كل منهما نظام العالم

(وتخرج الحى) أى المؤمن ، أو الحيوان (من الميت) أى من الـكافر

أو النطفة كإخراج الشخص الحى من المنى ، وكإخراج الدجاجة من البيضة، وبالعكس (وتخرج الميت من الحى) ومعناه : أن الله تعالى شبه إخراج الشخص من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان بالحياة؛ لأن الإيمان بالله يحيي القلب ، وشبه إخراج الشخص من نور الإيمان الى ظلمات الكفر بالموت ؛ لأنه محجوب عن نور الإيمان (وترزق) أى تعطى من خزائن نعمك (من تشاء) أى من تريد أن توسع عليه (بغير حساب) أى بغير محاسبة لك فإن نعم الله لا تعد ولا تحصى

دعوة عموم الأنبياء إلى عبادة الله وتوحيده

عموم الأنبياء صلوات الله عليهم كانت دعوتهم واحدة وهى قول كل نبى إلى قومه :

« يَاقَوْمِ أَعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ » « الاعراف »

ثانياً — الأحاديث النبوية

١ — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِى حَقٍّ حَقَّهُ) عن عون بن أبى جُحَيفة

« رواه البخارى »

الشرح

(إن لربك عليك حقاً) أى واجبا يلزمك أداؤه باتباع أوامره واجتناب نواهيه ، أى طاعته والعمل بما جاء فى شريعته

(ولنفسك عليك حقاً) أى لبدنك وروحك عليك حقاً فلا تتعب نفسك إتعاباً يهلكها ويوردها موارد الحتف والهلاك ؛ بل ارفق بها فى غير كسل ولا تفريط وأعطها نصيبها من الراحة ، وتهذيبها ورعايتها على خير الوجوه الدينية والدنيوية (ولأهلك عليك حقاً) أى لذوى قرابتك عليك حقاً يجب أن تراعيه ولا تهمله، وحقهم عليك اعطاؤهم مايستحقون ومساعدتهم على قدر الاستطاعة وإرشادهم إلى الطريق القويم

(فأعط كل ذى حق حقه) أى اعرف لكل نصيبه من الطاعة وحظه فى الرعاية

٢ — (اتَّقِ ٱللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ ٱلسَّيِّئَةَ ٱلْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ ٱلنَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) « رواه الترمذى »

أولا — فى هذا الحديث الحث على تقوى الله وطاعته فى السر والعلن وفى كل زمان ومكان ، فلا يتظاهر الإنسان بالتقوى أمام الناس ويرتكب الآثام فى غيبتهم؛ لأن هذا دليل النفاق والخبث والخديعة ، وهى أمور لاتخفى على الله الذى يعلم ما فى السموات والأرض، ولا تدل على خلق كريم ولا طبع سليم، ولا بد أن يعرف صاحبها ويشتهر أمره بين الناس فيلقى

جزاءه من احتقارهم وسوء معاملتهم وانقباضهم منه . وهذا شر الجزاء

ثانيا — الإسراع إلى عمل الحسنة بعد عمل السيئة ؛ لأن السيئة إن كانت فى حق الله أو العبد فربما يعفو عنها بسبب ما جاء بعدها من عمل صالح وفعل طيب ، وان لم يعف عنها فقد كسب بها صاحبها جزاء طيبا من أجلها ، وهى دليل الندم على الفعل السىء السابق منه ، وأمارة على تأنيب النفس ، وتوبيخ الضمير، فلا يعود الإنسان فى الغالب إلى ارتكاب الإثم ثانيا . فيكون هذا العمل الطيب قد محا من النفس الميل إلى عمل ذلك الفعل السىء فلا تعود إليه ثانيا

ثالثا — معاشرة الناس بالخلق الحسن ليكون محبوباً منهم ومقرباً إليهم

٣ — حديث فى تسبيح الله تعالى وتقديسه

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمٰنِ ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ

« رواه الشيخان وغيرهما »

الشرح

ذكر الله تعالى يحيي ميت القلوب ، ويذكى فاتر الهمم ، ويحوط

المرء بسياج من العصمة ، ويقيه نزغات الشيطان ، ويباعد بينه وبين المعاصى لقوله تعالى :

«إِنَّ ٱلصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللهِ أَكْبَرُ»

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث صيغة من صيغ الذكر لا مشقة فى حفظها ولا صعوبة فى استيعابها ، وهى مع ذلك عظيمة الأثر كبيرة الجدوى ، تغدق على المؤمن من فيض الخير الكثير والأجر الوفير، تثقل من الطيبات حسناته وتمحو من أوزاره وسيئاته ، ولئن كانت التكاليف شاقة على النفس ، إنَّ الذكر بها لهين سهل لا يستدعى قوة ولا استعدادا ، وإنما يوجب إخلاصا وتفريغا للنفس من شواغل الدنيا وهواجس القلب

وليس بكثير على الله الذى وسعت رحمته كل شىء أن يجزل الثواب العظيم على العمل القليل لما فى هذه الصيغة من تنزيه الله تعالى عن الشريك والنظير، وتحميده على سوابغ النعم ، وجزيل الفضل ، وتعظيمه بما هو أهله

وأنت خبير أن هذه الفضائل إنما هى لمن أخلصوا فى دعائهم ، وكملوا فى إيمانهم وتجنبوا المعاصى والحرام ، ونأوا عما يغضب الله من الآثام

ولا تظن أن من أدمن الذكر ، وأصر على ما شاء من شهواته ،

وانتهك حمى الله وحرماته يلتحق بالمقدسين الطاهرين ويبلغ منازلهم بكلمات يجريها على لسانه لا يتجاوز أثرها فمه

يرشدك هذا الحديث إلى أن للأعمال والأقوال ثقلاً وخفةً ، يثقل منها ما كان خالصاً لله ، ويخف ما شابه الرياء والغفلة ، ولم يكن فى حضور القلب وانتباهه ، وأن الأعمال صور ماثلة ، وأرواحها وجود الإخلاص فيها، ولقد قال الله تعالى :

« فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ »

وقال صلى الله عليه وسلم : « من قال سبحان الله وبحمده فى اليوم مائة مرة حُطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر »

٤ — حديث فى حق الله على العباد وحقهم عليه

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال :

(بينما أنا رديف النبى صلى الله عليه وسلم ليس بينى وبينه إلا آخرة الرحل ، فقال : يامعاذ ، قلت : لبيك ، يارسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ، ثم قال: يامعاذ ، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعةً ، ثم قال : يامعاذ بن جبل ، قلت : لبيك رسول الله وسعديك . قال : هل تدرى ما حق الله على عباده ؟ قلت: الله ورسوله أعلم

قال : (حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)

ثم سار ساعـةً ثم قال : يا معاذ بن جبـل ، قلت : لبيك رسول

الله وسعديك ، قال : هل تدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال (حَقُّ ٱلْعِبَادِ عَلَى ٱللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ)

« رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم »

الشرح

كان معاذ بن جبل الشاب العابد ، الأمة القانت ، الشهم المجـاهد الذى حضر الغزوات كلها ، راكباً فى سفر خلف الرسول صلى الله عليه وسلم على دابته لايفصل منه إلاّ آخرة الرحل التى كان يسند اليها الرسول صلى الله عليه وسلم ظهره ، وكان إردافه له تواضعاً منه صلى الله عليـه وسلم وإكراماً للشاب المجاهد فقال : يا معاذ ، قال : إجابة لك يارسول الله بعد إجابة ، وطاعةً لك بعد طاعة ، فتركه الرسول صلى الله عليـه وسلم دون أن يحدثه

وبعد أن سار ساعةً قال : يامعاذ ، قال : اتجاهاً إليك يارسول الله بعد اتجاه ، وإسعاداً بعد إسعاد ، فتركه الرسول صلى الله عليـه وسلم أيضاً بدون محادثة

وبعد أن سار فترةً قال : يامعاذ بن جبـل ، قال : إخلاصاً لك يارسول الله بعد إخلاص ، ومساعدة غِبّ مساعدة (فتلك ثلاثة نداءات نبهت معاذاً إلى العناية بما يلقى ، وصرف الذهن إليه ، وإرهاف الأذن له وإيقاظ الحافظة لضبطه ووعيه ، وعرفته أنه نبأ عظيم ، وحديث خطير)

ثم قال له : هل تدرى يامعاذ ما حق الله على عباده ؟ وما الذى يجب

عليهم أن يحققوه شكراً له ؟ وقد رد معاذ علم ذلك إلى الله الذى أحاط بكل شىء علماً، وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يبلغ عن الله وحيه، وهذا من معاذ كمال أدب ، ووقف عند حده ، ولم يقفُ ما ليس له به علم

وقد بين له الرسول صلى الله عليه وسلم أن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، كلمة جامعة لم تترك من الدين صغيرة ولا كبيرة ، فعبادته الخضوع له والتذلل ، وذلك بطاعته فيما أمر ونهى ، فنؤمن برسوله ، ونصدق بكتابه ، ونقيم الصلاة ، ونؤتى الزكاة ، ونهذب نفوسنا، ونصحح أجسامنا بالصيانة ، ونحج البيت الحرام ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، ونحسن عشرة الناس ونصدق فى معاملتهم، ونخالقهم بخلق حسن ، ونقف عند ما شرع الله لا نتعدى حدوده ، ولا نتجاوز رسومه ونجانب كل ما نهى عنه من الخبائث مما هو اعتداء على النفس أو المال أو العرض وإضرار بالخلق ، وأساس ذلك علمنا بكتاب الله وبما احتواه، وهذا بتلاوته وتدبره ودراسته وتفهمه

أما توحيده وعدم الإشراك به فإنا نعتقد أنه وحده صاحب الخلق والأمر ، وأن من دونه لا يملك ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله سواء كان ملكاً مقرباً أم نبياً مرسلاً ، أم ولياً عابدا

ومن توحيده أن تكون الأعمال خالصة لوجهه لا يشوبها خداع ولا رياء ولا تدليس ونفاق ، وألا ندعو معه غيره ، أو نقدم إليه القرابين أو نسوق النذور ، أو نتخذ وسيلة إليه ، فان كل ذلك شرك ينافى مقام التوحيد

ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً عن حق العباد على الله وما وعدهم به وكتبه على نفسه، إذا هم عبدوه حق عبادته ، وأخلصوا له الدين وأسلموا الوجوه وغمروا القلوب بتوحيده ، وطهروها من دنس الإشراك فقال له مثل مقالته الأولى : الله ورسوله أعلم

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : حق العباد على الله ألا يعذبهم وكيف يعذب من توفر على طاعته وكان عبده السميع ؟ فقرع أذنه آى الوحى فاذا به قد مثلها فى عمله وأظهرها فى خلقه ، ويسمع هدى الرسول صلى الله عليـه وسلم فاذا به قد اتخذه إماماً وقدوة ، وهادياً وأسوة ، كيف يعذب ذا النفس العالية ، الطاهرة النقية ، التى لا يرى فيها إلا بياض التوحيد ونوره ، ليس بها نكتة من دنس أو شرك ؟

بل كيف لا يسبغ نعمته ، ويدخل جنته عباده المقربين ، وجنده المخلصين وهو البر الرحيم (وقد كتب على نفسه الرحمة) وأكرم الأكرمين ؟ قال تعالى :

« وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَى فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَى »

« الأدب النبوى ص ١٧٣ »

٥ — أحاديث فى ذكر الله

(أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ)

« عن معاذ »

(جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ ، أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ)

« عن أبى هريرة »

فإن المداومة عليها تملأ القلب نوراً وتزيده يقيناً

(أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَرْبَعٌ : سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ ، وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ)

« عن سمرة بن جندب »

٢ - الأدب مع رسول الله ﷺ

اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم رجل فى العالم يجب احترامه وتهذيبه وتوقيره، والأدب معه قولا وفعلا ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم هو السبب فى هداية الخلق وإرشادهم إلى الحق، وإخراجهم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، قال الله تعالى :

« هُوَ ٱلَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ » « التوبة »

ورفعهم من حضيض الشقاوة إلى أوج السعادة مع مقاساة المشقات والمتاعب.

ولما كان علو مقامه صلى الله عليه وسلم وجليل مقداره بالمكانة العظمى فقد سنّ الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين من الآداب ما به يعرفون كيف يعاملونه صلى الله عليه وسلم ويتأدبون معه سواء أكان ذلك من جهة عدم فعل ما يكرهه بين يديه أو الاستعلاء عليه فى كلام أو مشى أو دخول بيته بغير إذنه أو غير ذلك، أو من جهة طاعته ولزوم متابعته والنزول عند حكمه والرضا بحكمه وقضائه أو غير ذلك مما يوجب تعظيمه واحترامه وتوقيره، قال الله تعالى :

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُوا۟

اللّهَ إنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ
تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ
عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ عَظِيمٌ » « الحجرات »

الشرح والتفسير

تشتمل هذه الآيات على صنوف الآداب التى أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به نبيه صلى الله عليه وسلم من الإجلال والتعظيم والتبجيل والتكريم سواء كانت هذه الآداب فعلية أو قولية

أما الآداب الفعلية فأشار الله تعالى إليها بقوله :

(يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم)

أى لا تسرعوا فى شىء من الأشياء بين يديه ، أى قبله ؛ بل كونوا تبعاً له فى كل الأمور

ومن ذلك عدم الإسراع فى الجواب عن مسألة جرت بين يديه وعدم الحكم إلاَّ تبعاً لسنته صلى الله عليه وسلم دون الرأى وهكذا من كل شىء ينافى احترامه صلى الله عليه وسلم وتعظيمه

وبعد أن نهى جل شأنه عن التقدم بين يدى الله ورسوله بشىء

ينافى الأدب فى حقه صلى الله عليـه وسلم أمر بالتقوى ومراقبة جانب الله تعالى فى كل شيء . ومن ذلك الترك للتقدم المنهى عنه فيما تقدم معللا ذلك بأنه سبحانه وتعالى سميع لأقوالنا عليم بنياتنا ، لا تخفى عليـه من ذلك خافية ، فقال :

(واتقوا الله إن الله سميع عليم) أى ومن كان كذلك فمن حقه أن يتقى ويراقب

أما الآداب القولية فقد أشار الله تعالى إليها بقوله :

(يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)

أى لا ترفعوا أصواتكم عند محادثتكم له صلى الله عليه وسلم ومكالمتكم معه إلى حد يكون فوق ما يبلغه صوته صلى الله عليـه وسلم ، لأن ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام له صلى الله عليه وسلم ولأن خفض الصوت وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوقير عادة

وليس المراد ما يقصده الشخص من ذلك على سبيل الاستخفاف فإنه كفر والعياذ بالله ، وإنما المراد أن يكون الصوت فى نفسه غير مناسب لما يقع فى مواقف من يجب تعظيمه وتوقيره

ولا تجهروا له بالقول كما يجهر أحدكم لأخيـه إذا كلمه لأن ذلك إنما يكون بين الأكفاء الذين ليس لبعضهم على بعض مزية توجب احترامه وتوقيره مع ما فيـه من الجفاء فى مخاطبته صلى الله عليه وسلم وعدم الأدب معه

ثم علل سبحانه ما ذكره بقوله : (أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) أى إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده والجهر له بالقول كما يجهر أحدكم لأخيه إذا كلمه خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يشعر ولا يدرى

ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت وحث عليه ورغب فيه فقال:

(إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم)

أى إن الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله إجلالاً له وتعظيماً أولئك الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى وجعلهم لها أهلاً ومحلاً وكان جزاؤهم لذلك مغفرةً وأجراً عظيما

وقد بين الله تعالى فى كتابه العزيز تعليم عباده المؤمنين كيف يتأدبون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سيما إذا وجدوا معه فى المجتمعات العمومية فقال :

« إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا ٱسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللهَ إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »

« النور ٦٢ »

الشرح والتفسير

تشير هذه الآية الكريمة إلى ما أرشد الله إليه عباده المؤمنين من الآداب نحو الرسول عليه الصلاة والسلام فى حال ما إذا كانوا مجتمعين معه على أمر مهم ، يجب اجتماعهم فى شأنه ، كالجمعة والجماعة والعيد والجهاد والتشاور فى الأمر وغير ذلك من الأمور الداعية إلى الاجتماع لغرض من الأغراض ، وذلك بأنهم لا يتفرقون عنه صلى الله عليه وسلم ولا ينصرفون عما اجتمعوا له لعروض عذر لهم حتى يستأذنوه فى الذهاب فيأذن لهم ، فإن هم خالفوا ذلك وتسللوا من عنده خفيةً واحداً بعد واحد كان ذلك علامةً على نفاقهم وعدم ثبات إيمانهم؛ لأن الخروج من مجلسه صلى الله عليه وسلم بغير إذنه من أمارات عدم الاكتراث له وعدم مكانته فى قلوبهم، وعدم رغبتهم فيما جاء به واجتمعوا لأجله، وذلك من أعظم الجنايات وأكبرها

ولذا جعل الله جل شأنه استئذانه صلى الله عليه وسلم عند إرادة الانصراف من مجلسه من علامات كمال الإيمان فى قوله :

« إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ »

أى ومن لم يستأذنك عند إرادة الانصراف فليس بكامل الإيمان

ومن الآية الكريمة يؤخذ أدب المرءوس مع رئيسه ، وأدب المريد مع أستاذه ، وأدب المتعلم مع معلمه ، وأدب المصلين مع إمامهم ، وأدب الرعية مع راعيهم ، فإن مراعاة الأدب معهم واعتبار حرمتهم من

الواجبات فلا يبرمون أمراً دونهم ولا يرسمون لهم خطة إلا اتبعوها ، ولا يأمرونهم بأمر إلا بادروا بتنفيذه ، ولا ينصرفون من مجلسهم إلا بعد استئذانهم

وبالجملة يفعلون كل ما فيه تبجيلهم وتعظيمهم واحترامهم ويتركون كل ما فيه تحقيرهم وإهانتهم

وبعد أن بين جل شأنه كيف يعاملونه صلى الله عليه وسلم ويتأدبون معه عند إرادة الانصراف من مجلسه أمره عليه الصلاة والسلام أن يأخذهم باللين ويعاملهم بالرفق ويصانعهم بكل ما فيه رضى نفوسهم وجلب محبتهم له مما يكون داعية الألفة والتوادد

فاذا استأذنه أحد منهم أن يخرج من المجلس لعروض عذر له أذن له إن شاء ومنعه إن شاء حسبما تقتضيه المصلحة التى يراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا معنى قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم :

« فَإِنِ ٱسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ »

أى فاذا طلبوا منك الإذن فى أن يخرجوا من مجلس الاجتماع فأنت مخير بين أن تأذن لهم أو لا تأذن

وفى هذا التفويض له صلى الله عليه وسلم من رفع شأنه وعلو منزلته عند الله تعالى ما لا يخفى

ولما كان الاستئذان وإن كان لعذر مسوغ لا يخلو من شائبة تقديم

أمر الدنيا على أمر الآخرة ، وهو اغتنام مجلسه صلى الله عليه وسلم أمره أن يستغفر لهم ، معللاً ذلك بقوله : (إن الله غفور رحيم) أى كثير المغفرة لفرطات عباده والرحمة بالتيسير عليهم بالغ فيها إلى الغاية التى ليس وراءها غاية

وفى الآية الكريمة من المبالغة فى الحفاوة به صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى ، حيث جعل سبحانه الاستئذان للذهاب عنه ذنباً محتاجاً للاستغفار فضلاً عن الذهاب بدون إذن ، ورتب الإذن منه على الاستئذان لبعض شأنهم لا على الاستئذان مطلقاً ولا على الاستئذان لأى أمر مهما كان ، أو غير مهم ، ومع ذلك فقد علق الإذن على المشيئة وليس ذلك بالغريب فلرسول الله صلى الله عليه وسلم عند ربه مكانة دونها كل مكانة ، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ومن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عدم الدخول فى بيوته بغير إذنه وبدون دعوته ، والمكث فيها بعد الإطعام ، وتكليم أزواجه بغير حجاب ، والتزوج بهن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، ولذا قد نهى الله عن ذلك بقوله :

« يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي

مِنْكُمْ وَاللهُ لَايَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا » « الأحزاب »

الشرح والتفسير

تفيد هذه الآية الكريمة وجوب احترامه صلى الله عليه وسلم وتوقيره وتعظيمه وتبجيله بما اشتملت عليه من الأحكام والآداب الشرعية التي أدب الله بها عباده المؤمنين التي يجب عليهم مراعاتها بالنسبة لمقامه السامي صلى الله عليه وسلم

وتشتمل على أربعة آداب :

الأول : عدم دخول بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بإذنه فإنها مظنة عدم التحفظ على ما يجب التحفظ عليه في غيرها . ففي الدخول فيها بغير إذن منه صلى الله عليه وسلم اطلاع على عورات منازله وعدم رعاية حقوق أزواجه صلى الله عليه وسلم والتهجم عليهن في بيوتهن وربما كانت إحداهن مكشوفة بعض الأعضاء وذلك مما تأباه النفوس الشريفة ، ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره ذلك ويتأذى منه كثيراً؛ ولكن كان يكره أن ينهاهم عنه من شدة حيائه كما قال تعالى :

(إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق)

وما زالوا كذلك ورسول الله صلى الله عليهم وسلم يكره منهم ذلك حتى أنزل الله تعالى :

(يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولامستأنسين لحديث)

فصاروا لايدخلون بعد ذلك إلا بإذنه وبدعوته

والمعنى : يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا بإذن منه ومدعوين إلى طعام حالة كونكم غير منتظرين ومرتقبين إناه أى نضجه واستواءه فإن ترقب ذلك لا يقع إلا من سفلة الناس وأدنيائهم

وفى الآية دليل على حرمة التطفل ، وهو أن يترقب الشخص وليمة أو يتحرى وقت أكل فلان من الناس ويتوجه إليه فى حينه؛ فإن ذلك مع مافيه من خسة النفس ودناءتها وسوء تربية صاحبها واتصافه بالشره والجشع لابد وأن يلحق صاحبه الذل والهوان ، لأنه ربما طرده صاحب المنزل وألحق به من الهوان والتقريع والتوبيخ مالايرضى به إلا أخس الناس نفساً وأسقطهم مروءة وأحطهم منزلة

الثانى : أنه إذا دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم إلى طعام فعليهم أن يبادروا إلى إجابته ويدخلوا عليه ولكن بعد الإذن لهم به ؛ لأن مجرد الدعوة لايكون إذناً كافياً فى الدخول، وعليهم بعد ذلك إذا قضوا غرضهم من الأكل والشرب أن لا يثقلوا بمكثهم بعد الأكل يتحدثون ويتسامرون

فإن ذلك مع ما فيه من التضييق على أهل بيته وعدم تفرغهم لأعمالهم فيه أنه ربما كان النبى صلى الله عليه وسلم مضطراً إلى الخروج إلى مهم ويخشى إذا مكث معهم أن تفوت منفعته وتضيع فائدته ، وإذا خرج وتركهم فى المنزل يخشى أن يكون فى ذلك حط من قدرهم وإهانة لهم وأمر لهم بالخروج بلطف ، فالواجب عليهم لذلك أن يكفوه مؤنة ذلك كله ولا يكلفوه فوق طاقته . وهذا ما لم يكن مكثهم بعد الأكل لمهم آخر يدعو إلى ذلك فإنه لا بأس به حينئذ ، وهذا الذى أشار الله تعالى إليه بقوله :

(ولكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث)

أى لا يسوغ لكم الدخول بغير دعوة ؛ ولكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا دخلتم وأكلتم فتفرقوا ولا تمكثوا يستأنس بعضكم ببعض لأجل حديث يحدثه

ثم بين جل شأنه علة النهى عن المكث بعد الأكل بقوله :

(إن ذلكم كان يؤذى النبيفيستحيي منكم والله لايستحيي من الحق)

الثالث : عدم النظر إلى أزواجه صلى الله عليه وسلم ، فإذا اضطر إلى سؤالهن عن حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ولا يسألهن إلا من وراء حجاب وستر ، فإن ذلك أطهر لقلبه وقلوبهن من الريبة وخواطر السوء التى تعرض للرجال فى أمر النساء ، وللنساء فى أمر

الرجال وأبعد للتهمة ، وهذا ما أشار الله تعالى إليه بقوله :

(وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن)

وفى ذلك أدب لكل مؤمن وتحذير له من أن يثق بنفسه فى الخلوة مع من لا تحل له ، والمكالمة من غير حجاب لمن تحرم عليه ، فإن مجانبة ذلك أحسن بحاله ، وأحصن لنفسه وأتم لعصمته

الرابع : عدم التزوج بأزواجه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته أو فراقه لأنهن أمهات المؤمنين ، ولا يحل للأولاد زواج الأمهات ، وهذا ما أشار الله تعالى إليه بقوله :

« وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ ٱللهِ عَظِيماً »

أى ان نكاح أزواجه صلى الله عليه وسلم من بعده كان عند الله ذنباً عظيماً وجرماً هائلاً كبيراً . وهذا من أعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حياً وميتاً ، وإعلامه بذلك مما يطيب نفسه ويسر قلبه

ملحوظة هامة : ثم اعلم أن هذه الآداب ، وإن كانت بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة العمل والاتباع إلا أنه لا بأس أن تكون كذلك بالنسبة لعموم الناس ؛ لأن الله عز وجل ما ذكر ذلك فى القرآن الكريم مع علمه بأن هذه أمور قد فات وقتها إلا ليرشدنا كيف يعامل بعضنا بعضاً ، ويتأدب بعضنا فى حق بعض ، وكذا سائر

القصص الموجودة فى القرآن فإنها إنما تذكر على سبيل الاعتبار والإرشاد إلى ما كان عليه الأمم الماضية وما كان يفعله الله سبحانه وتعالى معهم عند ما كانوا يطيعون أو يعصون

ومن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متابعته فى كل ما جاء به عن ربه والنزول على حكمه والرضا بقضائه لقوله تعالى :

« وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِيناً » «الأحزاب ٣٦»

الشرح والتفسير

تفيد هذه الآية الكريمة بيان ما أرشد الله إليه عباده المؤمنين من الأدب وحسن المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا حكم على أحدهم بشيء فليس له أن يختار من أمره شيئاً ، بل يجب عليه أن يجعل رأيه تبعاً لرأيه عليه الصلاة والسلام ، واختياره تبعاً لاختياره حتى يكون بذلك مؤمناً حقيقةً كما قال تبارك وتعالى :

« فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً »

وقال عليه الصلاة والسلام « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تبعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ »

وذلك لأن من لم ينزل على حكمه صلى الله عليه وسلم ولم يرض بقضائه ؛ إما لكونه يرى أن هذا الحكم منه صلى الله عليه وسلم وقع فى غير محله فهو ظلم وجور ، فهو يمتنع عن قبوله لذلك ، وهذا نهاية الضلال والخسران

وإما لأنه يرى أن حكمه عليه السلام وقع فى محله ولكن لا يقبله عناداً وكبراً ، أو لأنه لا يوافق هواه . وعلى كل حال فهو كفر والعياذ بالله .

ولذا شدد الله سبحانه وتعالى على من لم يرض بحكمه صلى الله عليه وسلم ، واختار غير ما اختاره بقوله : (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً)

أى ومن يعص الله ورسوله فى أمر من الأمور ، ومن ذلك عدم الرضا بقضائه وحكمه صلى الله عليه وسلم فقد ضل عن طريق الحق ضلالاً ظاهراً واضحاً لا يخفى

فاذا كان العصيان عصيان رد وامتناع عن القبول فهو ضلال وكفر وإذا كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب فهو ضلال وفسق؛ وعلى كل حال فهو من الضلال وقلة الأدب معه صلى الله عليه وسلم بحالة لا يصح لمؤمن ولا مؤمنة أن يتلبس بها ويكون عليها

ومن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن متابعته والتأسى به فى أقواله وأفعاله وأحواله ، وفى ذلك يقول الله تعالى :

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » «الأحزاب ٢١»

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى لزوم الأدب معه صلى الله عليه وسلم بوجوب متابعته والتأسي به فى أقواله وأفعاله، إلا ما علم أنه من خصوصياته صلى الله عليه وسلم (كنكاح ما فوق أربع نسوة وعدم التزوج بأزواجه من بعده وغير ذلك من خصوصياته) . ولذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسى به يوم الأحزاب فى صبره ومصابرته ، ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه، فقال للذين تضجروا وتزلزلوا واضطربوا فى أمرهم : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) أى واقتدوا به صلى الله عليه وسلم اقتداءً حسناً ، وهو أن تنصروا دين الله وتؤازروا رسوله ولا تتخلفوا عن نصرته وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو صلى الله عليه وسلم حيث كسرت رباعيته وجرح وشج وجهه وجاعت بطنه وأوذى بضروب الأذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه ، فافعلوا أنتم كذلك مثل مافعل بنفسه واستنوا بسنته

ولما كانت متابعته صلى الله عليه وسلم والاقتداء به فى مثل هذه الأمور العظام والمواطن الصعبة التى لا يتحمل عبأها إلا من تيقن بثواب الله ورحمته ورسخ إيمانه وكمل يقينه فلازم طاعته بكثرة ذكره قال الله تعالى (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)

أى هذه الأسوة الحسنة للذين يرجون ثواب الله ولقاءه ورحمته فى اليوم الآخر والذين يذكرون الله كثيراً

والآية وإن كان سببها خاصاً كما علمت إلا أن العبرة بعموم اللفظ ، فان التأسى به صلى الله عليه وسلم ومتابعته فى كل ما جاء به حسنة فى كل حال

وقد أرشد الله إلى وجوب متابعته صلى الله عليه وسلم فى كل ماأمر به ونهى عنه ، وأن من خالف ذلك فله العقاب الشديد والعذاب الأليم فقال تعالى :

« وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » « الحشر ٧ »

الشرح والتفسير

تفيد هذه الآية وجوب متابعته صلى الله عليه وسلم فى كل ما جاء به بفعل كل ما أمر به وترك كل ما نهى عنه وذلك لأنه تعالى يقول :

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)

أى مهما أمركم به من الطاعات وفعل الخيرات فافعلوه ، ومهما نهاكم عنه من الخبائث والمنكرات فاجتنبوه لأنه صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر ؛ على أنه إنما يأمر بأمر ربه وينهى بنهى ربه ، فعدم متابعته صلى الله عليه وسلم فى كل ما جاء به أو بعضه مخالفة لأمر الله ونهيه ، ولا يجرؤ على مخالفة الله ورسوله إلا قليل الأدب فاقد الحياء

ولما أمر جل شأنه بالائتمار بأمره صلى الله عليه وسلم والانتهاء بنهيه ، أمر بتقواه ، وخوف من شدة عقوبته فقال :.

(واتقوا الله إن الله شديد العقاب)

أى اتقوه بامتثال أوامره وترك زواجره ، فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه ، وارتكب ماعنه زجره ونهاه

أما محبة الرسول صلى الله عليه وسلم فهى من محبة الله سبحانه وتعالى

وقد جعل الله تعالى لكمال عنايته به صلى الله عليه وسلم اتباعه فى كل ماجاء به من عنده تعالى دليلاً على محبته تعالى فقال : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وسبق شرح هذه الآية فى محبة الله ، وقرن محبته بمحبته فى قوله : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) فانظر كيف فضل الله محبته صلى الله عليه وسلم على الآباء والأبناء والأخوات والأزواج والأقارب والأموال والتجارة والمساكن ، وبين أن من كانت محبته لهذه الأشياء أكثر من محبته له صلى الله عليه وسلم كان جزاؤه النكال الشديد والعقاب الأليم فهو صلى الله عليه وسلم أحب الناس الى الله وأقربهم منزلة لديه

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم من شروط الإيمان حب الله وحب رسوله فقال :

(لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا »

المعنى

لا يوجد إيمان كامل يسطع نوره فى قلب المسلم إلا إذا اعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعز عزيز لديه فى أهله وماله وكل شىء ، ولماذا ؟

لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة ونعمة ، لقوله تعالى :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ » الأنبياء

فتجب محبته ، وتتأكد أشد من محبة الوالد والولد والأهل والمال بل والعالم أجمع ، ولأنه صلى الله عليه وسلم دعا إلى الحق وأخرج الناس من الظلمات إلى النور

وقال تعالى : « هُوَ ٱلَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا » « ٱلفتح »

بين لهم سبل الهداية، وأضاء لهم طرق الحكمة والصواب، لينهجوا مناهج السعادة والسيادة

قال القاضى عياض : ومن محبته صلى الله عليه وسلم نصر سنته والذب عن شريعته ، وتمنى حضور حياته فيبذل ماله ونفسه دونه وإن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك ، ولا يتحقق الإيمان إلا بتحقيق محبة النبى صلى الله عليه وسلم وإعلاء قدره ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل ، ومن لم يعتقد هذا فليس بمؤمن ، والله أعلم .

٣ — الأدب مع أولى الأمر

أمرنا الله عز وجل بالأدب مع أولى الأمر، وهم رؤساؤنا الذين يسعون فى جلب الخير لنا ورفع الضر عنا بكل ما أوتوا من قوة وجهد ومنع تعدى بعضنا على بعض حتى لا يختل النظام ويستتب الأمن العام

فلا يظلم القوى منا الضعيف ، ولا يتعدى الأشرار الفجار على الأبرار الأخيار الذين كملت أخلاقهم وحسنت سيرتهم وسريرتهم وذلك بمنع السرقة والنهب والسلب والغصب والقتل

فالواجب علينا إطاعتهم واحترامهم وتعظيمهم عملاً بقوله تعالى :

« يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » «النساء» ٥٨

المعنى

(يأيها الذين آمنو أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أى امتثلوا أوامر الله ورسوله واجتنبوا نواهيهما (وأولى الأمر منكم) أى وأطيعوا أيضا أصحاب الأمر من أمراء المسلمين وزعمائهم وقادتهم (فان تنازعتم) أى إن اختلفتم فيما بينكم (فى شىء) من الأمور الدينية سواء كان الاختلاف فيما بينكم فقط أو فيما بينكم وبين رؤسائكم (فردوه) أى فردوا معرفة

حكم ما اختلفتم فيه (الى الله) أى إلى كتاب الله (والرسول) أى إن لم تجدوه فى كتاب الله فردوه إلى الرسـول إن كان حياً وإلا فارجعوا الى سنته وافعلوا ذلك (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أى تصدقون بالله وبيوم البعث والجزاء

(ذلك) أى ردكم ورجوعكم عند الاختلاف الى الـكتاب والسـنة (خير) عند الله فى آخرتـكم وأصلح لـكم فى دنيا كم ، لأنه يدعوكم إلى الاتفاق وترك الاختلاف (وأحسن تلاويلاً) أى وأحمد عاقبة

فاذا أطعناهم كما أمرنا الله رضوا عنا وأسرعوا للسعى فيما فيه مصلحتنا وراحتنا واطمئنان بالنا واسعاد حالنا

حـديث فى طاعة الأئمة والرؤساء فى المعروف ومخالفتهم فى المعصية

عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(اَلسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ مَالَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ)

(رواه البخارى)

الشرح

قال الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منـكم) فأمر عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله وأولى الأمر

وأولو الأمر هم الذين وكل إليهم القيام بالشئون العامـة ، والمصالح الهامة ، فيدخل منهم كل من ولى أمراً من أمور المسلمين : من ملك ووزير ، ورئيس ، ومدير ، ومأمور ، وعمدة ، وقاض ، ونائب ، وضابط وجندى

وقد أوجب الرسول صلى الله عليه وسلم على كل مسلم السمع والطاعة لأوامر هؤلاء ، والمبادرة إلى تنفيذها سواء أ كانت محبوبة له ، أم بغيضة إليه «وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم» فاذا دعونا إلى الحرب وبذل المال فى سبيلها لبينا الطلب ، وإذا طالبونا بالضرائب المشروعة دفعناها ، وإن طلبوا منا المساعدة على حفظ الشواطىء والمزارع من المياه الطاغية أجبنا أوامرهم ، وإن رغبوا فى معونتنا لأهل بلد اجتاحهم حريق أو نابتهم نائبة حققنا رغبتهم ، وهكذا نسمع كل ما أمروا به ، وننفذه سواء وافق رغباتنا وميولنا أو خالفها ، وسواء شق علينا أم سهل ، مادام فى ذلك المصلحة العامة ، وما دام فى دائرة الحلال المشروع

أما إن أمرونا بمعصية كاتهام برىء أو حبسه ، أو إيذائه ، أو مصادرة ماله ظلماً وعدواناً ، أو رغبوا إلى القضاء أن يحيد عن الحق ويحكم بالباطل أو أرادوا مالنا وحيواناتنا ورجالنا لمساعدة عدونا ، أو أرادوا أن نخط بيدنا صك الاستعباد لنا ولأبنائنا وأحفادنا ، أو طلبوا أن نرخص لمن يرغبن فى الاتجار بأعراضهن ، أو من يتجرون فى الخمور ، أو يفتحون نادياً للميسر ، أو مسرحاً للرقص والتمثيل الهزلى الخليع ، إن أمرونا بشىء من ذلك أطعنا الله وعصيناهم ، وأرضيناه وأغضبناهم ، فطاعتهم إذاً محرمة ، ومخالفتهم واجبة عملاً بالقول المأثور : «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق»

حديث فى الواجب على الرؤساء لمرءوسيهم

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ : الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ . قَالَ : وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ : وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » « رواه البخارى ومسلم »

الشرح

ما من إنسان إلا وقد وكل إليه أمر يديره ويرعاه ، فكلنا راع ، وكلنا مطالب بالإحسان فيما استرعيه ، ومسئول عنه أمام من لا تخفى عليه خافية ، فإن قام بالواجب عليه لمن تحت يده كان أثر ذلك فى الأمة عظيما ، وحسابه عند الله يسيراً ، وثوابه جزيلا ؛ وإن قصر فى الرعاية ، وخان الأمانة أضرَّ بالأمة وعسّر على نفسه ، وأوجب لها المقت والعذاب فإن فرَّ فى الدنيا من يد الإدارة أو النيابة ، أو برأه القضاء ، أو لم يكن

تقصيره داخلاً فى حدود القوانين القائمة فإن حساب الله آت ، وعقابه بالمرصاد ، وكل امرئ بما كسب رهين

فإمام الناس من ملك أو أمير راع كفيل ، وحافظ أمين ، مسئول عن أهل مملكته أو إمارته ، فعليه إقامة العدالة فيهم ، ورد الحقوق لأربابها ، واحترامه حرياتهم ، فى دائرة الحق والأدب، واستشارتهم فى الأمور ، والاستماع لنصائحهم ، والذود عن كرامتهم ، والحرص على مصالحهم ، والدفاع عن حقوقهم ، وفتح الأبواب لمعايشهم ، وتذليل السبل لتنمية ثروتهم ، والضرب على أيدى المفسدين ، والتنكيل بالمجرمين الخائنين ، والعمل على قطع الفساد فى الأرض ، ومنع الجرائم منها ، إلى غير ذلك مما ترقى به الأمة وتسلم من الأضرار

وإن الإمام لمسئول أمام الله عن أمته وجماعته ، يسأل عن كل فرد فيها ، وعن كل عمل من أعمالها ، يسأل عن ثروتها مورداً ومصرفاً ، وعما عمل لمصلحتها ، وسلك لسعادتها ، بل يسأل عن حيوانها ماذا صنع لراحته ، وتخفيف مشقته ؟ وبعبارة أوجز ، بقدر ما فى يده من الشئون وما وكل إليه من الأمور يكون الحساب ، وتكون المسئولية ، فلا يُلْهَ ذو منصب بمنصبه عن القيام بما وجب عليه ، ولا يغترن الرؤساء بمظاهر الرياسة ، عن الحيطة والكياسة ، وإعداد العدة لحساب أحكم الحاكمين

كذلك الزوج أو رب الأسرة راع فى أسرته ، ومؤتمن على من تحت

ولايته ، فعليه لهم التعليم والتثقيف ، والتربيـة والتهذيب ، بنفسه أو بوساطة ماله ، حتى يكونوا كَملة فى الأخلاق، أءمة فى الأدب ، سواء فى ذلك بنوه وبناته ، وإخوته وإخوانه ، وزوجه وخدمه

وفى مقدمة التهذيب تعليمهم فرائض الدين ، وتأديبهم بأدب العليم الحـكيم ، وتأديبهم له من طريق عمله أُجدى عليهم من حكمه ؛ وعليه الأخذ بهم عن طرق الدنايا ، والابتعاد عن مواطن الريب ، ومباءات الفتن، وعليه أن يقدم لهم مسكناً مناسباً ، وطعاماًوشراباً موافقاً، ولباساً فى دائرة الأدب والحشمة ، وتربية لا تدعو إلى الفتنة ، كل ذلك فى غير تقتير ولا إسراف ، بل يسلك طريق الاقتصاد ،ويدخر لهم ما يكون عدة للشدائد وسعة فى المضايق ، وتركة تقيهم ذل المسألة ، وتحفظ عليهم الـكرامة

وليكن فى بيته عيناً راعية ، وأذناً واعية ، يتفقد الأمور ، ويتحرى الصالح،ويقيم العدل فى رعايا هذه المملـكة الصغيرة ، وليعلم أن الله سائله عن زوجه هل عاشرها بالمعروف ، وقام لها بالحقوق ، ولم يخنها فى غيبته؟ وسائله عن ولده ، ما صنع فى نفسه ، وعما عمـل فى ماله ؟ وعن أقربائه الذين هم تحت كنفه ، ماذا قدم لهم ، وكيف واساهم ؟

فليُعد الجواب الحسن من عمله وحقه، وكرم رعايته وحسن ولايته

قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائـكة غلاظ شداد »

وكذلك المرأة فى بيت زوجها راعية ومؤتمنة موكلة ، وربة مملكة رعيتها البنات والبنون ، والزوج الرءوم ، والبيت وما وعى ، والمال والخدم ، فلتكن للأولاد خير مربية ، ولزوجها خادماً طائعة ، وفى بيتها حكيمة مدبرة ، وعلى المال قائمة راعية ، حافظةً له خدمته ، ولخدمها قدوةً صالحةً ترشدهم إلى الواجب ، وتهديهم إلى الصالح ، تهذب من أخلاقهم ، وتقوم بواجبهم ، تراقب سيرتهم ، وترعى نفوسهم ، ولا تهجر فى زجرهم

وبعبارة أخرى : نريد من المرأة بيتاً نظيفاً منظماً ، وولداً صحيحاً مؤدباً ، ومالاً مرعياً ، وطعاماً شهياً ، وثمراً جنياً ، وطاعةً لزوج فى معروف ، وأدباً فى منطق ، وكمالاً فى نفس ، ونظافةً فى بدن وزى ، وفى ولد وخدم ، فإن فعلت ذلك فنعمت الراعية ، ونعمت من ترعى

وإن المرأة لمسئولة أمام الله عن هذه الرعية ، أقامت بواجبها أم قصرت فى حقها ؟

فإن كان القيام فروح وريحان وجنة نعيم ، وإن كان التقصير فنزل من حميم وتصلية جحيم

فليتق الله نساؤنا ولا يكن كل همهنَّ الطعام والشراب ، وزيارة الأحباب ، والتفنن فى الزينات ، والمشى فى الطرقات ؛ أما البيت وتدبيره والولد وتقويمه ، والزوج وشئونه فلا عناية ولا رعاية ، ذلك شين فى

الدين ، الخطر فيه كبير ، والوزر عظيم ، والحساب عليه عسير

كذلك الخادم راع فى مال سيده ، وحافظ مؤتمن ، فليرعه كما يرعى ماله، ينميه بما استطاع ، ويحفظه من الضياع ، يرحم حيوانه ويرأف به ويتفقد صالحه وخيره ، أليس من هـذا المـال يطعم ويشرب ، ويلبس ويسكن ؟ أليس منه يأخذ الأجر ؟ فلمَ لا يكون فيـه أميناً ، ولا على تثميره حريصاً ؟ وإذا كان مكلفاً برعاية المـال فما بالك برعاية الأهل والولد ؟ فلا يخن سيده فى ماله ، أو ولده أو أهله ، وليبعد عنهم الدنس والدنايا ، ولينصح لسيده فى كل ماله صلة به ، (والدين النصيحة) وليعلم أن الله سائله عن رعيته

كذلك الولد راع فى مال أبيه يستثمره وينميه ، ويحفظه ويرعاه فلا يبـذره تبذيراً ، ولا يبدده تبديداً ، ولا يخونه فيـه بالسرقة أو الاغتصاب ، أو الـكذب عليـه فى الحساب ، وهل مال أبيه إلا ماله ؟ فإن رعاه فإنمـا يرعى لنفسه ، ويدير لمستقبله ، وسيسأل الله الأبناء عمـا صنعوا فى مال الآباء ، فليتقوا الله فيه ، وليعملوا ما يحمدون عليه

وكلنا راع ، وكلنا مسئول عن رعيته : فالعمدة راع فى بلده ، ومسئول عن رعيتـه ، والمأمور راع فى مركزه ومسئول عن رعيته ، والنائب أو الشيخ راع فى دائرته ومسئول عن رعيته ، ورئيس النواب أو الشيوخ راع فى مجلسه ومسئول عن رعيته

والناظر راع فى مدرسته ومسئول عن رعيته ، والمدرس راع فى فصله ومسئول عن رعيته ، وكل رئيس راع فى مصلحته ومسئول عن رعيته، والصانع راع فى صنعته ومسئول عن رعيته ، والتاجر راع فى تجارته ومسئول عن رعيته، والزارع راع فى مزرعته ومسئول عن رعيته

فالحديث الشريف دعامة كبيرة فى القيام بالحقوق والواجبات ، والإحسان فى الأعمال، والرعاية لما تحت اليد، وإنه ليقرر مسئولية كل فرد فيما وكل إليه من نفوس وأموال، ومصالح وأعمال

والله الموفق كل فرد إلى ما فيه صلاح الحال وبلوغ الآمال

٤ – الأدب مع الوالدين

إعلم يابنى أن أباك هو الذى رباك صغيراً ، وأجهد نفسه فى تحصيل ماينفقه عليك فى مأكلك ومشربك وملبسك وجميع لوازمك إلى أن صرت شاباً قادراً على الكسب ولولاه لمت جوعاً

وأما أمك فقد تحملت فيك المشقات العظيمة ، والمتاعب الخطيرة فى مدة حملك وولادتك ورضاعك وتنظيفك من الأوساخ والقاذورات وسهرت لأجلك الليالى الطوال، تتألم لألمك ، وتسر لرؤيتك ، وتفرح لفرحك ، داعية الله بأن تراك رجلاً عظيماً .

وهما فوق ذلك يحبانك حباً جماً، ويتمنيان لك السعادة فى الدنيا والآخرة معاً

فهذان الوالدان الكريمان لهما عليك حقوق لابد من أدائها، وواجبات لابد من قضائها، فتلك الحقوق هى : الحب، والطاعة، والاحترام، والشكر والمساعدة

أما الحب : فعاطفة فطرية، أوجدتها القدرة الربانية فى قلب الولد فإن لم يشعر الولد فى دور الطفولة بأنه منجذب بميل طبيعته لمحبة والديه المملوئين عطفاً وحناناً عليه فلا شك أنه يشعر بذلك إذا شب، وكلما نما إزداد إدراكه وشعوره بالمحبة ، حتى إذا بلغ أشده تحولت محبته لأهله شفقة فيعمل لسعادتهم كما كانوا يعملون لسعادته، فإذا وجدت ولداً لايحب والديه فألحقه بالبهائم، أو اجعله فى عداد الوحوش

أما الطاعة : فهى دليل على إخلاصه وحبه لهما ، فواجب عليه أن يمتثل أوامرهما، وأن يتجنب نواهيهما ، وأن يعمل بنصائحهما ، وأن يعتقد كل الاعتقاد أن الفوز والنجاح فى امتثال أوامرهما، والخيبة والخسران فى مخالفتهما؛ لأنهما أعرف منه بالنافع والضار، وأكثر خبرة منه بأمور الدنيا ولا يهمهما إلا نفسه وراحته وسعادته

وما أحسن قول الشاعر :

أطع الإله كما أمر	واملأ فؤادك بالحذر
وأطع أباك لأنه	رباك فى عهد الصغر
واخضع لأمك أرضها	فعقوقها إحدى الكبر

أما الاحترام البنوى لهما : فيكون برعاية الأدب نحوهما، فى قوله وفعله ، وإكرامهما والبر والإحسان إليهما ، فلا يعاملهما معاملة الأنداد النظراء؛ بل معاملة الصغير للكبير، حتى إذا بلغا من الكبر عتياً وجب عليه إحتمال مايبدو منهما، مهما كان مخالفاً للعقل، والصبر مع التلطف فى إرشادهما إلى جادة الحق والصواب ، ولقد جاء فى الأمثال :

« من وقر أباه طالت أيامه » وقال الشاعر :

إن للوالدين حقاً علينا	بعد حق الإله فى الإحترام
أوجدانا وربيانا صغارا	فاستحقا نهاية الإكرام

أما الشكر لهما : فيجب ألا يحده حد ، ولا يحصيه عد ، لأنهما سبب وجوده فى الحياة الدنيا ، وهما اللذان حملاه صغيراً وأحباه، واشتغلا

من أجله، وكابدا الآلام المرة فى سبيل معيشته وراحته، وسهرا على حياته

وأقل ثمن على ذلك الشكر لهما، إعترافا بفضلهما عليه، عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)

ومَن أحق بالشكر منهما على معروفهما عنده، لأن هذا المعروف فى حقيقته نعمة من الله سبحانه وتعالى على مسديه

أما المساعدة : فتكون بالعمل لنفعهما، وتخفيف أعباء الحياة عنهما بالإنفاق عليهما إذا كبرا، وتقطعت بهما أسباب العيش، فهو عدتهما فى الحياة، وفلذة كبدهما، وموضع هنائهما، ومحل عنايتهما

وأن يكون قيامه بهذا العمل بلا مَنّ ولا ضجر، بل بالعطف والصبر والحنو، لأن أداء هذا الواجب لا يعادل ما أنفقاه عليه من المال والصحة والراحة، وما صادفاه من المشاق العظيمة فى سبيل تربيته منذ ولد إلى أن صار شاباً، بل رجلا يكسب المال بجده ونشاطه بفضل رضائهما وحبهما وتثقيفهما عقله بالعلم والأدب

وبالجملة يجب أن يفعل جميع الوسائل التى تكون سبباً فى مرضاتهما وزوال غضبهما وكدرهما

وقد بين لنا الله عز وجل فى كتابه العزيز بعض ما يلزم لهما من الحقوق والآداب فقال :

١ــ «وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا

وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا » « الاسراء ٢٣ و ٢٤ »

الشرح والتفسير

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان إلى أهم الأمور وأولاها بالعناية وأجدرها بالرعاية، وأقربها لرضا الله تعالى، وأبعدها من سخطه ومقته، ألا وهو (برّ الوالدين) الذى جمع من الخير أكمله، ومن الإحسان أجمله، ومن المروءة أرفعها، ومن الخيرات أنفعها، وكفى به فضلا وشرفاً أن قرنه الله بتوحيده وعبادته، وبالغ فى التوصية به، مبالغة تقشعر لها جلود أهل العقوق، وتحمل ذوى العقول السليمة على تأدية الواجب لهما من الحقوق، فأمر جل شأنه بالإحسان إليهما، وقرنه بتوحيده وعبادته فى قوله :

(وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا)

أى أمر أمراً جازماً، وحكم حكماقاطعاً، بتوحيده وعبادته، وبر الوالدين والإحسان إليهما

وفى هذا الاقتران من الدلالة على تأكد حقهما، والعناية بشأنهما ما لا يخفى

ثم شدد الأمر فى مراعاتهما حتى لم يرخص فى أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر من أحوال لا يكاد يصبر الإنسان معها فإذا حصل منهما شىء يكرهه ولا يستحسنه فلا يصح له أن يتكلم معهما بأى كلام يكون من ورائه تضررهما وتكدر خاطرهما؛ بل الواجب

عليه فى هذه الحالة أن يقول لهما قولا ليناً سهلا جميلا بأحسن ما يمكن من التعبير به من لطف القول وكرامته ، مع حسن التأدب والحياء والاحتشام، وخصوصاً إذا كانا كبيرين،فإنهما فى هذه الحالة أحق بالمجاملة وحسن التلطف والتعطف؛لأنهما يظنان أنهما عالة عليه،فكل كلمة تصدر منه ولو صغيرة يتأثران منها،وتنكسر قلوبهما من أجل ذلك

ولذا خص الله سبحانه وتعالى حالة الكبر بالذكر فى قوله :

(إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً)

أى إن كبرا وهما فى كنفك وكفالتك لا يصح أن تقول لهما أى قول يكدر خاطرهما،ويستجلب غضبهما،أو يؤذيهما،حتى ولا التأفف الذى هو أدنى مراتب القول السىء إذا حصل منهما مالا يلائمك ولا يعجبك؛ بل الواجب عليك بدل ذلك أن تعاملهما بالحسنى، وتقول لهما القول اللين الطيب الحسن مع الأدب والتوقير والتعظيم والاحترام ، وأن تخفض لهما جناح الذل، وتتواضع وتتذلل لهما بجميع أنواع التذلل والمسكنة؛ لأنهما صارا أفقر الناس إليك ، بعد أن كنت أفقر الناس إليهما،وإحتياج المرء إلى من كان محتاجاً إليه غاية الضراعة والذل والمسكنة فكانا لذلك أولى بشدة الرحمة والشفقة، وزيادة التعطف

ثم ختم جل شأنه الوصية عليهما والحث على برهما والإحسان إليهما بطلب الدعاء لهما من الله أن يرحمهما برحمته الباقية الدائمة فقال :

(وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) كأنه تعالى يقول له : لا تكتف

برحمتك التى لاتدوم؛ ولكن اطلب لهما من الله الرحمة الدائمة وهى رحمتى وقل رب ارحمهما رحمةً مثل رحمتهما وتربيتهما لى وأنا صغير

٢ — وقال تبارك اسمه فى الوصية بالوالدين، والحث على الإحسان إليهما :

« وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ » « الأحقاف »

الشرح والتفسير

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان إلى بيان ما أمر الله به الإنسان من برّ الوالدين والإحسان إليهما، والحنو عليهما، وخصوصاً أمه لأنها تعبت فيه، وتكبدت من المشاق والمتاعب فى حمله ووضعه ورضاعه مالم يشاركها الأب فى شىء منه ؛ ولذلك كان حقها أوكد من حقه ، وبرها أوجب من بره وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى :

(ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً)

وبعد أن أوصى جل شأنه ببر الولدين والإحسان إليهما وبيان ما اختصت به الأم من الفضل والمزية وزيادة رعاية الحقوق على الأب، بين أن الإنسان متى بلغ أشده وبلغ أربعين سنة من عمره كان عليه أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله تعالى، ويكثر من هذه الدعوات الصالحات التى علمها الله تعالى له بقوله :

(حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى) أى ألهمنى ووفقنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لى فى ذريتى) أى اجعلهم صالحين متمكنين فى الصلاح (إنى تبت إليك وإنى من المسلمين) أى المستسلمين المنقادين لطاعتك المخلصين فى توحيدك

ثم بعد ذلك كله بين جزاء من اتصفوا بهذه الأوصاف فبروا وأنابوا إلى الله تعالى فقال : (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون)

فبين جل شأنه أن جزاءهم عنده أن يقبل ما عملوه من الأعمال الصالحة وأن يتجاوز عن سيئاتهم ، فلا يعاقبهم عليها ، وأن يدخلهم الجنة حسبما وعدهم الله تعالى وعده الصادق الذى وعدهم به على لسان رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام

٣ـ وقد أوصى الله تعالى الإنسان بوالديه، والشكر لهما، وطاعتهما فى كل ما أمرا به ، مالم يكن فيه معصية الله فقال :

« وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » « لقمان ١٤ »

الشرح والتفسير

يؤخذ من هاتين الآيتين الكريمتين وجوب بر الوالدين والإحسان إليهما ، والحنو عليهما ، وخصوصا الأم ؛ لأنها تعبت في تربيته وتحملت المتاعب والمشقات في ذلك ، وقاست الشدائد في سهرها عليه آناء الليل وأطراف النهار حتى استولى عليها بسبب ذلك الوهن والضعف ، وهذا الذى أشار إليه الله تعالى بقوله : (حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين) أى حملته في بطنها وهي تزداد كل يوم ضعفاً على ضعف مما تقاسيه في حال الحمل والولادة ، والتعب الذى تقاسيه مدة تربيته وإرضاعه بعد وضعه وهي عامان

فيجب عليه أن يشكرها ، ويقوم لها بأعظم الخدمات ، وأكبر المبرات جزاء ما تكبدته معه فيهما من المتاعب والمشقات ، ولذا يقول جل شأنه : (أن اشكرلى ولوالديك إلىَّ المصير) أى وصيناه بشكرنا وشكر والديه ، ومتى قام بأداء هذا الشكر جازيناه أوفر الجزاء ؛ لأن المصير

والمرجع إلينا ، وما أعظم هذه العناية من الله جل شأنه بالوالدين حيث قرن شكرهما بشكره !

وقد حدّ جل شأنه الحد الذى يجب طاعتهما ومتابعتهما فيه وامتثالهما فى كل ما أمرا به أو نهيا عنه بأن ذلك ما لم يكن فيه معصية الله تعالى ، فإن كان الأمر بمعصيته والنهى عن طاعته فلا حرج فى مخالفتهما، ولا تعد مخالفتهما وعدم طاعتهما حينئذ عقوقاً؛ لأنه (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) إلا أنه مع ذلك لا يصح له أن يقطعهما ويمنع الإحسان عنهما ، بل يصنع المعروف معهما ، وهذا الذى أشار الله تعالى إليه بقوله :

(وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً) أى وإن حرصا كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما وتشرك بى فلا تطعهما ولا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما فى الدنيا بالمعروف والإحسان إليهما ، والتصدق عليهما

ثم أمر جل شأنه بعد الفراغ من الوصية ببر الوالدين باتباع سبيل من رجع إليه من عباده الصالحين بالتوبة فقال : (واتبع سبيل من أناب الى) أى اتبع أيها الإنسان طريق من أقبل على طاعتى من عبادى الصالحين بالتوبة والإخلاص، وهو النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون

(ثم إلى مرجعكم) جميعا فى الآخرة (فأنبئكم) وأخبركم بالذى كنتم تعملون من خير أو شر فأجازى كل عامل بما عمل

وقد حث الله على بر الوالدين بالإنفاق عليهما، وإن أفضل الصدقات وأعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه هو ما كان للوالدين ثم من يليهما، فقال تعالى:

« يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ » « البقرة ٢١٤ »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى بر الوالدين والإحسان إليهما، وأن أفضل شيء يتصدق به الإنسان ويحسن به ويفعله من المعروف والبر والخير والصدقة هو ما كان للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل

وقد بين الله ذلك عندما سئل النبي صلى الله عليه وسلم كيف ينفقون أموالهم وعلى من يصرفونها؟ فقال له:

(قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل)

أى اصرفوها فى هذه الوجوه، وذلك لأن الوالدين هما السبب فى وجوده حتى أمكنه أن يكتسب هذا المال وينفقه فهما أولى من يصرف إليهم المال، وأجدر بالتصدق عليهما من كل من عداهما؛ ثم من بعدهم الأقربون؛ لأن الإنسان لا يمكنه أن يسع جميع الفقراء بصدقته وإحسانه

فتقديم الأقرباء أولى من غيرهم

ثم من بعدهم اليتامى؛ لأنهم لا كسب لهم، وليس لهم من يقوم بأودهم ويتكفل بمصالحهم فهم لذلك أولى بالإحسان إليهم بعد الوالدين والأقربين

ثم من بعدهم المساكين المحتاجين الذين لا يجدون ما يقوم بكفايتهم فهم أولى بالتصدق بعد من ذكروا

ثم من بعدهم ابن السبيل ، والمراد به المسافر الذى فرغ زاده وبينه وبين غرضه مسافة يحتاج إلى المؤنة فينفق عليه ما يبلغه إلى مقصده

ثم أعقب ذلك كله بعبارة تدل على الترغيب ، والحث على الإنفاق بلطف فقال : (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) أى فيجازيكم عليه أوفر الجزاء لأنه لا يظلم أحداً مثقال ذرة ، ولا شك أن من أيقن بالخلف جاد بالعطية

وقد حث الله تعالى على بر الوالدين والإحسان إليهما والحنو والشفقة عليهما وعلى من يليهما فقال :

« وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً » « النساء ٢٥ »

الشرح والتفسير

لقد جمعت هذه الآية الكريمة من صنوف البر وأنواع الخير وحسن

المعـاملة مع الله والناس ما لو عملت به وتخلقت به لـكنت من أسعد السعداء وأنبل النبلاء ، فمن ذلك توحيـد الله تعالى وحسن عبادته ، وبر الوالدين بالإحسان إليهما والحنو عليهما ، وصلة الرحم بمد يد المساعدة لهم إن كانوا فقراء والتودد إليهم بالزيارة والهدايا والطيب من القول إن كانوا أغنياء ، والإحسان إلى اليتامى والمساكين بالنظر فى مصالحهم والقيام بأودهم وكل ما يحتاجون إليه ، وحسن الجوار سواء كان الجار ملاصقاً أو غير ملاصق ، وخصوصاً إن انضم إلى الجوار القرابة فيكون له حقان : حق الجوار ، وحق القرابة ، وحسنه يكون بالإحسان إلى جاره والتصدق عليه إذا كان محتاجاً ، والتودد إليه بالزيارة والمبادرة برد السلام والمساعدة له فى كل ما يحتاجه ، فلا يمنع عنه شيئاً مما يطلبه

وحسن الصحبة وهو المراد بقوله تعـالى : (والصاحب بالجنب) أى الذى كانت صحبته بسبب مرافقته بالجنب سواء كان ذلك بجلوسه بجنبه فى طلب العلم ، أو تعلم صناعة ، أو مباشرة تجارة أو مرافقة فى سفر ، أو قعود بجنبه فى مسجد أو مجلس أو غير ذلك

وحسن الصحبة معـه بأن يكون له فى النوائب ، ويؤثره بالرغائب وينشر حسنته ، ويطوى سيئته ، ويكتم سره ، ويستر عيبه ، وإذا سأله أعطاه وإذا سكت وكان محتاجاً ابتدأه ، وإن نزلت به نازلة واساه

ومواساة ابن السبيل ، وهو المسافر وتكون بسد عوزه وإعانته بما يوصله إلى محل أوبته والشفقة والرحمة بالأرقاء والعبيد والإحسان إليهم

لأن الرقيق ضعيف الحيلة ، أسير فى أيدى الناس ، ويكون ذلك بتربيته وتعليمه وعدم تكليفه فى العمل ما لا يطيق ، وأن يكسوه مما يلبس ، ويطعمه مما يأكل ، حتى إذا أنس فيه النباهة والمعرفة والقدرة على أن يملك زمام نفسه بنفسه ويعرف أن يتصرف فى معيشته باستقلاله أعتقه فإن ذلك هو المقصود من الاسترقاق

وقوله تعالى : (إن الله لا يحب من كان مختالا فخوراً) أى مختالاً فى نفسه ، معجباً متكبراً فخوراً على الناس ، يرى أنه خير منهم فهو فى نفسه كبير ، وهو عند الله حقير ، وعند الناس بغيض

الأحاديث

١ — حديث فى رضا الوالد

قال عليه الصلاة والسلام : (رِضَا ٱلرَّبِّ فِي رِضَا ٱلْوَالِدِ وسُخْطُ ٱلرَّبِّ فِي سُخْطِ ٱلْوَالِدِ) « عن أبى عمرو رواه الترمذى »

المعنى

رضا الرب عز وجل الذى تترتب عليه المغفرة والتوبة والنجاة يكون فى رضا الوالد ، أى ملازم لرضا الأب مترتب عليه

وسخط الرب ، أى غضبه ونقمته فى سخط الوالد ، أى فى غضبه الناشىء من عقوقه ، وعدم رعاية حقوقه

وقال على كرم الله تعالى وجهه :

وأطع أباك بكل ما أوصى به   إن المطيع أباه لا يتضعضع

وقال بعض الفضلاء فى التوصية بالوالدين خصوصاً الأم وعدم عقوقها :

قضى الله ألا تعبدوا غيره حتما   فيا ويح شخصاً غير خالقه أمّا
وأوصاكمو بالوالدين فبالغوا   ببرّهما فالأمر فى ذاك والرحما
فكم بذلا من رأفة ولطافة   وكم منحا وقت احتياجك من نعما
وأمك قد باتت بثقلك تشتكى   تواصل مما شفها البؤس والغما
وفى الوضع كم قاست وعند ولادها   مشاقاً تذيب الجلد واللحم والعظما
وكم سهرت وجداً عليك جفونها   وأكبادها لهفاً بجمر الأسى تحمى
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها   جنواً وإشفاقاً وأكثرت الضما
فضيعتها لما أسنت جهالة   وضقت بها ذرعاً وذوقتها سما
وبت قرير العين ريان ناعماً   مكباً على اللذات لا تسمع اللوما
وأمك فى جوع شديد وغربة   تلين لها مما بها الصخرة الصما
أهذا جزاها بعد طول عنائها   لأنت لذو جهل وأنت إذاً أعمى

٢ — حديث فى بر الوالدين

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَارَسُولَ ٱللهِ مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قَالَ : أُمُّكَ . قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أُمُّكَ . قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أُمُّكَ . قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أَبُوكَ) « رواه البخارى ومسلم »

الشرح

هـذا الحديث الشريف يدل على أن لـكل من الأبوين حقاً فى المصاحبة الحسنة والعناية التامة بشئونه (وصاحبهما فى الدنيا معروفاً) ولـكن حق الأم فوق حق الأب بدرجات إذ لم يذكر حقه إلا بعد أن أكد حق الأم تمام التأكيد - بذكرها ثلاث مرات - وإنما علت منزلتها منزلته مع أنهما شريكان فى تربية الولد ، هذا بماله ورعايته وهذه بخدمته فى طعامه وشرابه ولباسه وفراشه و . . . . الخ؛ لأن الأم عانت فى سبيله مالم يعانه الأب ، فحملته تسعة أشهر وهناً على وهن ، وضعفاً إلى ضعف ، ووضعته كرهاً ، يكاد يخطفها الموت فى هول ما تقاسى ولـكم كان بدء الحياة بوليد نهايتها لأم رءوم ، وكـذلك أرضعته سنتين ساهرة على راحته عاملة لمصلحته وإن برحت بها فى سبيل ذلك الآلام

وبذلك نطق الوحى الإلهى : (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً

حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً)

فتراه وصى الإنسان بالإحسان إلى والديه ، ولم يذكر من الأسباب إلا ما تعانيه الأم إشارة إلى عظم حقها

ومن حسن المصاحبة للأبوين الإنفاق عليهما طعاماً وشراباً ، ومسكناً ولباساً وما إلى ذلك من حاجات المعيشة إن كانا محتاجين ، بل إن كانا فى عيشة دنيا أو وسطى ، وكنت فى عيشة ناعمة راضية فارفعهما إلى درجتك أو زد فإن ذلك من الإحسان فى الصحبة ، واذكر ما صنع يوسف مع أبويه ، وقد أوتى الملك إذ رفعهما على العرش بعد أن جاء بهما من البدو

ومن حسن الصحبة بل جماع أمورها ماذكره الله تعالى بقوله :
(وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) إلى آخر الآية .

وقال على كرم الله تعالى وجهه :

عليك ببر الوالدين كليهما   وبرّ ذوى القربى وبر الأباعد

---

٣ – حديث فى الصلاة لوقتها وبر الوالدين والجهاد

(عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : سَأَلْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ ٱلْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى ٱللهِ ؟ وَفِي رِوَايَةٍ : أَيُّ ٱلْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟

قَالَ : اُلصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا . قَالَ : ثُمَّ أَىٌّ ؟ قَالَ : بِرُّ اُلْوَالِدَيْنِ . قَالَ : ثُمَّ أَىٌّ ؟ قَالَ : اُلْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اُللهِ)

قَالَ حَدَّثَنِي بِهِنَّ رَسُولُ اُللهِ صَلَّى اُللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوِ اُسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي « رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى »

الشرح

سأل عبد الله بن مسعود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحب الأعمال إلى الله وأفضلها عنده ، ليكون حرصه عليه أشد وعنايته به أكبر فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الأحسن والأفضل والأرفع درجة ، والأجزل ثواباً هى الآتية :

١ — الصلاة على وقتها ، وفى رواية : الصلاة لوقتها لأنها تعود الإنسان النظام واحترام المواعيد وذكر الله والقيام بين يديه ، ومناجاته خمس مرات فى اليوم والليلة ، والدأب على رياضة النفس وتهذيبها ، والمبادرة إلى الخيرات ، وملك النفس والشهوات

وأداء الصلاة كل يوم فى أوقاتها أو فى أول الأوقات أفضل عند الله من سائر الأعمال

٢ — ثم سأله عبد الله عما يلى ذلك فى المرتبة ، فقال له : بر الوالدين وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم استنبط ذلك الترتيب من قوله تعالى فى وصية الإنسان بوالديه (أن اشكر لى ولوالديك) فشكر الله

بالصلاة وشكر الوالدين ببرهما ، وبرهما بطاعة أمرهما وتفقد مصالحهما ، والإنفاق عليهما ، وحسن معاملتهما ، وخفض الجناح لهما ، وأن تقول : (رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً)

وحسبك بياناً لمنزلة الوالدين والإشادة بحقهما أن الله قرن الإحسان إليهما بالأمر بتوحيده فقال تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً)

٣ — ثم سأله عبد الله عما يلى بر الوالدين فأخبره الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه الجهاد فى سبيل الله ، وسبيله دينه الذى شرعه والحق الذى رسمه

وما الجهاد إلا بذل المستطاع من مال ونفس ومركز وجاه ، وقوى وتفكير ، وقلم ولسان فى سبيل إعلاء كلمته وحفظ دينه ونشره بين الناس وتعليمه ، وحفظ البلاد التى يقطنها الإسلام ، وحفظ أهله ممن أرادهم بسوء من الأمم الغاشمة والدول المستعمرة ، ورفع لواء القرآن والتمكين للحق فى الأرض ، وفى نفوس الناس عامة

قال الله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله مع المحسنين)

٤ — حديث فى النهى عن سب الرجل والديه

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ

قِيلَ : يارَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟

قَالَ : يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ)

« رواه البخارى ومسلم »

الشرح

إن من الذنوب ما ضرره عظيم ، وسوء أثره فى المجتمع كبير ، كالقتل والزنا وشرب الخمر والسرقة ، وشهادة الزور ، وقطيعة الرحم ، وأكل مال اليتيم . وهذا النوع يسمى بالكبائر لكبر المفسدة منه ، وللوعيد الشديد عليه

وهذا النوع درجات بحسب الضرر الذى فيه ؛ فكلما كانت دائرته أوسع كان فى الكبر أدخل ، فكتمان الشهادة كبيرة ، ولكن أكبر منه الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان ضرره فى الذنوب يسيراً يسمى بالصغائر ، كعبوسة الوجه وهز الرأس احتقاراً

والحديث يبين أن سب الرجل أبويه من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب ، لأن الإساءة فى موضع الإحسان ، والإثم الكبير مكان البر

العظيم ، والشتم الذميم عوض القول الكريم ، وهل هو إلا كفر بنعمة التربية منهما وغمط لحقوقهما ، ودناءة نفس وخسة طبع ؟

وهل يرجى من شخص يسيء إلى أبويه اللذين ربياه صغيراً أن يحسن إلى أحد من الناس ؟ كلا فهو مصدر شر ، ومبعث فساد ، فلا جرم أن كان ذنبه عظيماً ووزره خطيراً ؛ ولذلك عجب الصحابة واستغربوا وقالوا :

كيف يسب الرجل والديه ؟ استبعاداً أن يكون فى بنى الإنسان من يقدم على هذا الجرم العظيم ، فبين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه سب غير مباشر بأن يسب شخص أبا شخص آخر ، فيسب هذا أبويه انتصاراً لنفسه وانتقاماً مضاعفاً لعرضه ، فذلك سب من الأول لأبويه لأنه تسبب فيه ، وإذا كان التسبب لذلك من أكبر الكبائر ، فما بالك بمن يسبهما كفاحاً بَلْهَ من يؤذيهما ويضربهما ؟

إن ذلك للوزر الأكبر لا يفوقه إلا الشرك

والأصل فى الحديث قوله تعالى : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم)

فنهى المسلمون عن سب الآلهة التى يعبدها المشركون مخافة أن يسبوا الله انتصاراً لآلهتهم

٥ — حديث فى النهى عن عقوق الأمهات

عن المغيرة بن شُعبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ اُللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ اُلْأُمَّهَاتِ »

الشرح

نهى الله عن عقوق الأمهات، وعدم القيام بحقوقهن، والوفاء لهن بما يجب، من حسن الطاعة والإنفاق والمعونة وطيب القول، والبعد عما يغضبهن، أو يسبب سخطهن؛ لأنه طالما شقيت الأم بابنها حملاً وفصالاً ورضاعاً وتربية وحياطة من كل أذى وضرر، تسهر لينام، وتتعب ليرتاح، وتشقى ليسعد، ابتسامته وهو صغير أشهى لديها من الدنيا وما فيها، وصحته وسروره أغلى ما تبتغى الحصول عليه، تفتديه بكل مرتخص وغال، وتقيه بما تستطيع وتملك من كل غائلة وشر، إن بكى طارت نفسها شعاعاً عليه، وإن مرض تقرحت جفونها التياعاً، فليس من حسن الصنيع أن يقابل ذلك بالجحود والكفران، أو يجعله فى مطارح النسيان

وقد خص الأم فى هذا الحديث؛ لأن العقوق إليها أسرع لضعفها، ولينبه على أن بر الأم مقدم على بر الأب فى التلطف والحنو .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الجنة تحت أقدام الأمهات »

٦ — حديث فى النهى عن عقوق الوالدين

« كُلُّ ٱلذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ ٱللهُ تَعَالَى مَا شَاءَ مِنْهَا إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ إِلَّا عُقُوقَ ٱلْوَالِدَيْنِ فَإِنَّ ٱللهَ يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا قَبْلَ ٱلْمَمَاتِ » « عن أبى بكرة ـ رواه الطبرانى »

المعنى : الذنوب (الخطايا) يؤخر الله تعالى ما شاء منها ، أى من حسابها ، والعقاب عليها إلا عقوق الوالدين ، وهو الخروج عن طاعتهما وإهانتهما فإن الله تعالى يعجله أى لا يمهل عقابه للعاق فى الحياة الدنيا ، وذلك بأن يسلط عليه أبناءه فيعقونه ويخرجون عليه ، فإن لم يكن له ولد سُلط عليه من يجحد فضله

وقال الشاعر فى عقوق الوالدين :

وإن عقوق الوالدين كبيرة فبرهما تبرر كذاك وتحمد

---

٥ - الأدب مع الأقارب (ذوى الرحم)

رحم الإنسان أقاربه ، وصلتهم أن يطعمهم من جوع ، ويؤمنهم من خوف، ويقضى عنهم ديناً ، ويفرج عنهم غماً ، ويقوم بما يحتاجون إليه ، ويتودد إليهم بالزيارة والهدايا ، والطيب من القول ، والبشاشة عند اللقاء ، والمبادرة بالسلام ، ورد ضالتهم، والمحافظة على فعل كل ما يجلب محبتهم إليه

وصلة الرحم من أفضل الخصال ، وأجمل الخلال ، فبها يكثرُ التوادُّ والتواصلُ ، وتؤمن الغوائل ، ويزول التباغض والتحاسد ، وتستمال القلوب ، وتلتئم الشعوب، وتغفر الذنوب ، وتصفو الضمائر ، وتحسن السرائر ، وتنتظر الرحمة ، وتستدام النعمة ، ويستحكم الوداد ، ويتمكن الإسعاد

ولما اشتملت عليه من هذه الثمار اليانعة ، والفوائد النافعة ، حثّ الشرع عليها، وبالغ فى التمسك بها ، حتى جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم سبباً فى إدرار الرزق وسعته ، وفاتحة الخير وزيادته ، فقال عليه الصلاة والسلام :

(إِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا صِلَةُ الرَّحِمِ حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ

لِيَكُونُونَ فُجَّارًا ، فَتَنْمُو أَمْوَالُهُمْ وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا وَصَلُوا أَرْحَامَهُمْ)

وقال عليه الصلاة والسلام : (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَيُوَسَّعُ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) وسيأتى شرحه

وقال رجل لابنه فى بعض وصاياه : يابنى لا تقطع القريب ، وإن أساء ، فإن المرء لا يأكل لحمه وإن جاع

وقال بعض الحكماء : من وصل رحمه ، وصله الله ورحمه ، ومن قطعها قطعه الله وحرمه

وحكمة الشارع فى الحث عليها ، والتشديد فى أمرها والترغيب فيها ، والتحذير من قطعها ، ومجانبة ذلك جهد الاستطاعة ، أن أقارب الرجل هم أكثر الناس بعد أبويه له تناصرا ، وأكثرهم رغبة فى الخير له ، وأشدهم شفقة عليه ، وأعظمهم محبة له ، بهم يعلو بين الأنام قدره ، ويعظم فخره ، ويرتفع ذكره ، وهم أكثر الناس به اختلاطاً ، فإذا قطعهم تنغص عيشه ، وكثر شره وقل خيره ولأنهم أبعاض أبويه ، ومنهما نشئوا أو اختلطوا معهما فى نسب فكل هذه حقوق تحتم على الإنسان أن يصلهم بقدر جهده واستطاعته

وقد حث الله تبارك اسمه على صلة الرحم ، وبين أن ذوى القرابات فى إيصال الخيرات لبعضهم أولى من غيرهم ممن ليس بينهم وبينهم قرابة فقال :

« وَأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » « الأنفال ٧٥ »

الشرح والتفسير

يستفاد من هذه الآية الكريمة بيان حقوق الأقرباء بعضهم على بعض، وأنهم أولى من غيرهم فى تأدية هذه الحقوق لهم

فمن ذلك أنهم يورثونهم دون غيرهم ، وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم آخى بين أصحابه ، فكان المهاجرى يرث الأنصارى دون قراباته وذوى رحمه للأخوة التى عقدها بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية لتخصيص الأقرباء بالميراث دون غيرهم من الأجانب لأنهم أولى ببعضهم من غيرهم ، وذلك منه جل شأنه حث على انتفاعهم ووصول الخير لهم وصلتهم

وقد حث الله عز وجل فى آية أخرى على صلة الرحم وبرها والنهى عن قطعها فقال :

« يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً . وَٱتَّقُوا ٱللهَ ٱلَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا »

« النساء »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى أمرين :

الأول — الحث على التقوى

الثانى — الحث على صلة الرحم وبرها وعدم قطعها وهذا الذى أشار إليه بقوله : (واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام)

أى واتقوا الله الذى يسأل بعضكم بعضاً به ، وذلك يكون بطاعتكم إياه ، واتقوا قطع مودة الأرحام فإن قطعها من أكبر الكبائر ، وصلتها باب لكل خير ، فتزيد فى العمر وتبارك فى الرزق ، ولذا وصل جل شأنه تقوى الرحم بتقواه

وقوله تعالى (إن الله كان عليكم رقيباً) أى مطلعاً عليكم فيعلم من امتثل أمره بتقواه وصلة الرحم ، ومن لم يمتثل فيجازى كلا منهما بما يستحق

وقال جل شأنه فى النهى عن قطع الرحم مع بيان ما يترتب على ذلك من العقاب الشديد والعذاب الأليم والخسران المبين :

« ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ »

« البقرة ٢٧ »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى بيان ما أعده الله تعالى من النكال

الشديد، والعذاب الأليم، والخسران المبين، لمن اتصفوا بهذه الأوصاف الرذيلة، وتخلقوا بهذه الأخلاق القبيحة، وهى :

أولاً — نقض العهد بعد ما أخذ الله عليهم الميثاق به، وهو كل ما أمر الله به ونهى عنه فى كتبه أو على ألسن رسله الكرام، ونقضه عدم العمل به

ثانياً — قطع الرحم التى أمر الله بها أن توصل

ثالثاً — الفساد فى الأرض بارتكاب كل معصية يتعدى ضررها ويطير فى الآفاق شررها

وقد وعدهم الله بالخسران العظيم فقال : (أولئك هم الخاسرون) أى الناقصون أنفسهم حظوظها فى رحمة الله بمعصيتهم له كما يخسر الرجل فى تجارته؛ بأن يوضع من رأس ماله فى بيعه، فكذلك هؤلاء الناس الذين اتصفوا بالأوصاف المذكورة قد خسروا بحرمان الله تعالى لهم من رحمته التى وعدها عباده المتقين يوم القيامة أحوج ما كانوا إلى رحمته

وقال الله تعالى فى آية أخرى :

« وَٱلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ ٱللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدَّارِ » « الرعد ٢٧ »

المعنى

أى هؤلاء الناس الذين اتصفوا بهذه الأوصاف القبيحة لهم اللعنة

ودار السوء ، وذلك بما اشتملت عليه من الأهوال والمشقات ، ومناقشة الحساب

وقال تعالى فى آية أخرى :

« فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا أَرْحَامَكُمْ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَارَهُمْ » (محمد)

حديث فى ثمرات صلة الرحم

حديث فى أن صلة الرحم تطيل العمر وتزيد فى الرزق

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) (رواه البخارى ومسلم)

ورواه الترمذى بلفظ : (إِنَّ صِلَةَ ٱلرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي ٱلْأَهْلِ ، مَثْرَاةٌ فِي ٱلْمَالِ مَنْسَأَةٌ فِي ٱلْأَثَرِ)

الشرح

رتب الرسول صلى الله عليـه وسلم على صلته الرحم أمرين : بسط الرزق، والإنساء فى الأثر

أما ترتيب السعة فى الرزق على صلة الرحم فلأنه بالصلة يستجاب محبتهم ومودتهم ، فيعاونونه على كسب الثروة فتزداد ، وينفى بالصلة عداوتهم التى إذا شغل بها استنفدت كثيراً من وقته يتعطل فيه عن ابتغاء الرزق ؛ ولأنه بالصلة يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ، وبالصلة يدخل فى زمرة المتقين (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال جل شأنه : (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً)

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة ترتب السعادة الدنيوية على الأعمال الصالحة

وأما ترتيب الإنساء فى الأثر على الصلة ، فإن فسرنا الأثر بالذكرى الطيبة للإنسان بعد وفاته ، فالإنساء فيها معناه التأخير والإطالة ، فألسنة الناس ثناء عليه، ودعاء له لقيامه بواجب القرابة ، وربما استمرت هذه الذكرى أمداً طويلاً ، فنفسه الرحيمة كأنها خالدة فى عالم الأحياء

وإن فسرنا الأثر ببقية العمر ، فظاهره أن الأجل يمتد بصلة الرحم وذلك يعارض قوله تعالى (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها)

فالجواب : أن الأجل محدد بالنسبة إلى كل سبب من أسبابه

فإذا فرضنا أن الشخص حدد له ستون عاماً إن وصل رحمه ، وأربعون إن قطعها، فإذا وصلها زاد الله فى عمره الذى حدد له إذا لم يصل

فالأجل لا يتأخر بالنسبة إلى سببه الخاص ، ويتأخر بالنسبة إلى سبب آخر ، وأحسن من هـذا أن نفسر مد الأجل بالبركة فى العمر ، فيهبه الله قوة فى الجسم ، ورجاحة فى العقل ، ومضاء فى العزيمة، فتكون حياته حافلة بالأعمال الطيبة ، فهى حياة طويلة ، وإن كانت فى الحساب قصيرة

وذلك لأن المقياس الحقيقى للحياة المباركة ليست الشهور والأعوام ولـكنه جلائل الأعمال ، وكثرة الآثار ، فرب شخص عمر طويلاً ، وكأنه لم يكن ، ورب آخر عاش قليـلاً وكأنه لبث فينا قروناً لـكثرة ما عمل وعظم ما خلف ، وإنمـا رتبت البركة فى العمر على صلة الرحم لأن المرء إذا وصل أقرباءهُ أجلوه واحترموه فامتلأت نفسه سروراً وشعر بمكانة عالية من أجل صنيعه الذى صنع ، والسرور منشط ، كما أن الحزن مُثبِّط ، والشعور بالعظمة داع للإكثار منها ، وبذل الجهد فى سبيلها

والحـديث الشريف يقرنا على حب البسطة فى العيش ما آمنا وعملنا الصالحات ، ويقرنا أيضاً على الرغبة فى زيادة الحياة إن كانت فى سبيل الطيبات، كما يحثنا على بر الأقرباء لقوله تعالى :

« وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ »

وقال أحد الفضلاء فى منظومة له :

وكن واصل الأرحام حتى لـكاشح
توفر فى عمر ورزق وتسـعد

وقال صاحب مرآة أهل الزمن فى النهى عن مقاطعة الأرحام :

ولا تقاطع ذوى القربى ولو قطعوا　　وكن إذا زلت الإخوان مغتفرا

وروى البخارى عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(قال الله تعالى : أنا الرحمن ، أنا خلقت الرحم ، وشققت لها اسماً من إسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته)

٦ - الأدب مع الجار

لما كان الجار من جاره بمنزلة القريب من قريبه أوصى الله به وطالب بالإحسان إليه ، فقال تعالى :

« وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَى » أى الأقرب إلى دارك ، وفسره بعضهم بالمسلم

« وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ » أى البعيد بيته عن بيتك ، وفسره بعضهم باليهودى والنصرانى

والمرجع فى القرب والبعد إلى العرف

والإحسان إلى الجار يكون بمعاملته بالصدق والإخلاص ، وكف الأذى عنه ، والإهداء إليه ، ودعوته إلى الطعام ، ومساعدته بالمال والجاه إذا احتاج إلى ذلك ، وفعل كل مايرضيه فى طاعة الله ، وترك كل ما يؤذيه فى طاعة الله

فاذا تمت الألفة بين الجيران عاشوا آمنين مطمئنين ؛ أما إذا حل بينهم التنافر فقد ساءت عيشتهم ، وتربص بعض لبعض ، واحتدم الجدل والخصام واللجاج ، وأدى ذلك إلى الضرب أو القتل

والجار أعرف الناس بمعايب جاره ، وسبل الإيقاع به

لذلك ولغير ذلك طالب الله تعالى بالإحسان إلى الجار ، وأوصى به النبى صلى الله عليه وسلم

فعن أبى شُرَيح الْخُزَاعى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِى بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل للنبى صلى الله عليه وسلم : إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتعمل وتتصدق وتؤذى جيرانها بلسانها

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَا خَيْرَ فِيهَا فَهِىَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ . قَالُوا : وَمَا ذَاكَ يَارَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : جَارٌ لَا يُؤْمِنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ . قَالُوا : مَا بَوَائِقُهُ ؟ قَالَ : شَرُّهُ) وسيأتى شرح هذا الحديث

وأخرج البخارى فى الأدب عن ثوبان فقال :

(مَا مِنْ جَارٍ يَظْلِمُ جَارَهُ وَيَقْهَرُهُ حَتَّى يَحْمِلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَنْزِلِهِ إِلَّا هَلَكَ)

والجار يشمل : القريب ، والأجنبى ، والمسلم والكافر ، غير أنه يبدأ بصلته ومعروفه القريب فالأقرب المسلم ، فالأبعد المسلم ، فالأقرب الكافر ، فالأبعد الكافر

وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم عاد ولد جاره اليهودى

وروى البخارى فى الأدب عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه ذبح له شاة فجعل يقول لغلامه : أهديت لجارنا اليهودى ؟

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ »

والجار هو من تجاوره ، وتراه ويراك فى غدوك ورواحك ، وحزنك وفرحك

ومن الأدب مع الجار أن تبدأه بالسلام ، والتعظيم والإكرام ، وألا تطلع على مايفعله فى بيته ، فإن ذلك يسمى تجسسا ، وألا تذكره بما يكره فقد نهى الله عن ذلك

ومن الواجب ألا تؤذى جارك لا بالقول ولا بالفعل عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ »

ومن الواجب عليك أن تعوده فى مرضه ، وتعزيه فى مصائبه ، وتهنيه فى فرحه ، وتظهر السرور لسروره ، والحزن لحزنه ، كأنه أخ أو قريب لك

ومن حق الجار عليك ألاّ تضع التراب والأوساخ أمام بيته أو بجانب حائطه حتى لا يغضب ولا يغتاظ ، وألاّ تضع بجواره أشياء من الطيور أو الحيوانات المقلقة للراحة فتنغص عليه عيشه ، وربما تضطره لرفع قضايا ضدك أو يبتعد عن مجاورتك

ولا يليق بك أن تنظر من النوافذ (الشبابيك) على حريمه وبناته فإن هذا مخالف للشرع والأدب ، كما أنه لا يليق النظر إلى ما بيده من المآكل والمشارب وهو داخل فى داره ، ولا تتطلع إلى عوراته

ولقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حقوق الجار والأدب معه فى حديث كله حكم عالية بحسب الآداب الإسلامية ، فقال عليه السلام :

(أتَدْرُونَ مَا حَقُّ ٱلْجَارِ؟ إِذَا ٱسْتَعَانَ بِكَ أَعَنْتَهُ ، وَإِنِ ٱسْتَنْصَرَكَ نَصَرْتَهُ ، وَإِنِ ٱسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ ، وَإِنْ مَرِضَ عُدْتَهُ ، وَإِنْ مَاتَ تَبِعْتَ جَنَازَتَهُ ، وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّأْتَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ ، وَلَا تَسْتَطِلْ عَلَيْهِ ٱلْبِنَاءَ فَتَحْجُبَ عَنْهُ ٱلرِّيحَ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَلَا تُؤْذِهِ ، وَإِذَا ٱشْتَرَيْتَ فَاكِهَةً فَأَهْدِ لَهُ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرًّا ، وَلَا يَخْرُجْ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغِيظَ بِهَا وَلَدَهُ ، وَلَا تُؤْذِهِ بِقُتَارِ قِدْرِكَ (رائحة طعامك) إِلَّا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا

ثم قال : أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ ؟ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَا يَبْلُغُ حَقَّ الْجَارِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ اللهُ)

حديث فى إكرام الضيف والإحسان إلى الجار

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ)

« أخرجه الشيخان »

الشرح

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث أموراً ثلاثة يقتضيها الإيمان بالله واليوم الآخر وهى : إكرام الضيف ، والإحسان إلى الجار والنطق بالخير أو الصمت ؛ وإنما خص بالذكر الإيمان بالله واليوم الآخر دون غيرهما مما يجب الإيمان به كالرسل والكتب الإلهية ؛ لأن الله تعالى مبدئ كل شيء ، وبيده الخير والشر ، واليوم الآخر نهاية الحياة الدنيا وهو ينتظم البعث والنشر والحشر والحساب والجنة والنار ، فهو يوم جامع لكثير مما يجب الإيمان به

وإنما كان الإيمان بهما مقتضياً لهذه الأشياء ؛ لأن من صدّق بالله وعلم أنه خبير بما يعمله ، ومحاسبه عليه ، وأن بيده الثواب والعقاب يجد

فى عمـل الطيباب ، ويدع السيئات ؛ ومن آمن بيوم يحيي فيه الناس جميعاً ، وتعرض عليهم فيه أعمالهم من خير أو شر ، ويلقون جزاءهم من جنة أو نار ـ من آمن بكل ذلك طمع فى الثواب بالمسارعة إلى الخيرات ونفر من العقاب باتقائه الشرور

ولنشرح الثلاثة الأمور الواردة فى الحديث المذكور :

١ — **إكرام الضيف** : إكرام الضيف يكون بحسن استقباله فيقابله بوجه باش ويظهر له السرور بحضوره ، ويقدم له خير ما عنـده من الطعام والشراب ووسائل الراحة ، وإن كان ذا سعة والضيف فقير مد إليه يد المعونة، ويودعه كما استقبله بالحفاوة والإكرام إلى غير ذلك وقد قال العلماء : إن الضيافة الشرعية ثلاثة أيام،وما زاد عليها فهو صدقة فنحن مأمورون بإكرامه فى هذه الثلاثة الأيام وما زاد عليها فضل من المضيف

٢ — **الإحسان الى الجار** : يكون بعمل ما يستطيع معه من ضروب الخير ، فان استقرضك أقرضته ، وإن استعانك أعنته ، وإن احتاج أعطيته ، وإن مرض عدته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن انتابته نائبة عزيته وواسيته ، وكن أميناً على أسراره ، متودداً إليه بالهدايا ، حريصاً على مصالحه ، كما تحرص على مصالحك

فإذا كان الإحسان للجار مطلوباً ، فدفع الأذى عنه أمر محتم

وفى حديث البخارى عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)

حديث فى النهى عن أذى الجار

عن أبى شريح قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« وَٱللهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَٱللهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَٱللهِ لَا يُؤْمِنُ ، قِيلَ وَمَنْ يَارَسُولَ ٱللهِ ؟ قَالَ : ٱلَّذِى لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ (شره) »

« رواه البخارى ومسلم وغيرهما »

الشرح

من سعادة المرء أن يكون فى بيئة يشعر فيها بالعطف عليه ، والمحبة له ومن شقائه أن يكون بين جماعة يضمرون له الشر ويدبرون له المكايد

فالشخص الذى بجانبه جيران سوء يعملون للإضرار به فى نفسه أو ماله أو عرضه ، ويحوكون له العظائم والدواهى ، منغص فى عيشه ، لا يهنأ له بال ، ولا ينعم بحال ، تراه مقطب الوجه ، محزون النفس ، مكلوم الفؤاد ، وكل ذلك من سوء الجوار

ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن من هذه خلقته وتلك دخيلته مع جاره غير مؤمن ، وأكد ذلك بالحلف والتكرار ثلاث مرات وهل المؤمن إلا من أمنه الناس على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ؟

وهل الإيمان إلا من الأمن ؟ فإذا كان الجار لجاره حرباً ، وله ضداً فكيف يكون من المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله ؟

لقد كان الواجب عليه أن يتفقد أمور جاره ، ويساعده بكل ما استطاع

ويعمل على جلب الخيرله، ودفع الشر عنه، حتى يكونا فى عيشة راضية ، وحياة طيبة

أفما كفاه أن يترك كل ذلك حتى يقف منه موقف العداء ؟

يدبر له الموبقات المدمرات ، والمفظعات المهلكات إلا يحسن إليه فلا يسىء ؟ وليقف موقف الحياد إن لم يكن لصنع المعروف أهلاً

والحديث يؤكد حق الجار ، وأنه من بين الحقوق بالمكان العظيم حتى إن من ينتهك حرماته يسلب عنه الإيمان الذى هو معقد السعادة فى الدنيا والآخرة « ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين »

---

٧ - الأدب مع الصاحب

قد بين الله تعالى حق الصاحب للصاحب فقال :

« وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ » قيل : هو الرفيق فى السفر ، وقيل هو الزوجة والزوج وكل منهما مطالب بالإحسان إلى الآخر

وقالوا :هو الذى يزاملك فى مهنتك أو تعليمك أوصناعتك أو أى عمل يشاركك فيه، وهو أوفق وأعم حتى يتم التواد بين الزملاء ويعيشوا على المحبة والصفاء وفى ذلك نفع للأمة والبلاد

عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله : (والصاحب بالجنب) قال : الرفيق فى السفر

وعن زيد بن أسلم قال : هو جليسك فى الحضر ، ورفيقك فى السفر وامرأتك التى تضاجعك

وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ)

وجاء فى الحديث الشريف : (الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ)

ولهذا وجبت مصاحبة الأخيار ممن يتصفون بالأخلاق الكريمة والخلال الجميلة كاشتهار بعلم أو أدب أو حسن خلق أو تقوى جامعة فهؤلاء يكتسب المرء بصحبتهم ويستفيد بقربهم فى أخلاقه الفوائد الجليلة بعكس حال مصاحبة الحمق والمتنطعين وأرباب الفساد والشر خصوصاً

وما أبلغ هذه النصيحة والحكمة فى اختيار الصاحب التى قالها الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: « عليك بإخوان الصدق تعش فى أكنافهم فإنهم زينة فى الرخاء ، وعدة فى البلاء ، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه ، واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين فى القوم ، ولا أمين إلا من خشى الله ، فلا تصاحب الفاجر فتتعلم من فجوره ، ولا تطلعه على سرك ، واستشر فى أمرك الذين يخشون الله »

أما حقوق الصحبة وآدابها فتنحصر فيما يلى :

١ — الحق فى المال لقوله صلى الله عليه وسلم : (مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى) يريد المعاونة فى الشئون المالية بالاقراض

٢ — الاعانة بالنفس فى قضاء حاجات الإخوان

٣ — السكوت باللسان عن القدح فى حق الأصحاب فيما بعد تنقيصاً لشأنهم ، وحطا من كرامتهم أو اغتيالهم ، ونصح الصديق إذا رأيته قد وقع بلسانه فى منكر

٤ — الإخلاص والوفاء ، وهما أوكد ما تدوم بهما الصحبة ، وتعرف بهما المروءات فى الهيئة الاجتماعية

٥ — التخفيف وترك التكلف من أجمل الآداب وأعظم الأصول حتى لا تثقل على الصديق بالزيارات ولا بالتكاليف ولا بالتغالى وإظهار مالا يقدرون على القيام له بمثله فى الضيافات والحفلات الأخوية .

٨ — أدب المرء مع نفسه

إن أدب المرء مع نفسه أن يكون على أحسن صفات الكمال، وأجمل الخلال ، فلا يصدر منه ما يوجب الذم واللوم ، ولا يقع منه ما يخل بالمروءة والشهامة، أو يقلل من قيمته ، أو يحط من منزلته

فإن وعد وفى ، وإن اؤتمن لم يخن ، وإن تمكن من فعل محرم عف عنه نفسه، وكف عن إتيانه ، وإن رأى منكراً غيَّره ، وإن تكلم غض من صوته ، وإن مشى لم يختل ولم يتعاجب فى مشيته ، وإن رأى كبيراً وقره وعظمه ، وإن مر بلغو من القول أو الفعل تجنبه إن لم يقدر على دفعه ، وهكذا من الخصال الحميدة والصفات الجميلة

وقد بين الله أنواع الآداب على أكمل وجه وأحسن حالة فمنها :

أولا — غض البصر ، وحفظ الفرج ، وعدم التبرج بالزينات وعدم فعل أى شىء من دواعى الشهوة وإثارة الفتنة ، سواء كان ذلك للرجال أو للنساء ، قال تعالى :

« قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ

مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ، وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣١ » « النور »

الشرح والتفسير

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان إلى بيان أكمل الآداب التى يجب على كل من الرجال والنساء أن يتخلقوا بها ويتجملوا بحلاها

وهى بالنسبة للرجال : (١) أن يغضوا أبصارهم عن النظر إلى ما لا يحل النظر إليه من أجنبية غير محرم لهم، لا سيما إذا مشوا فى الطرقات أو فى غيرها

لأن العين مبدأ الزنا، والنظر يزرع فى القلب الشهوة التى هى مجلبة لسائر المفاسد والمنكرات ، ولذا نهى صلى الله عليه وسلم عن الجلوس فى الطرقات ، لأنه لا يخلو الجالس عليها من النظر إلى ما لا يحل النظر إليه غالباً بقوله :

(إياكم والجلوس على الطرقات ، قالوا : بلى يارسول الله ، لا بد لنا من مجالسنا نقعد فيها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أبيتم

فأعطوا الطريق حقه . قالوا : وما حق الطريق يارسول الله ؟ قال : غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر)

(٢) وأن يحفظوا فروجهم من التعدى على عرض الغير ، وأن يمنعوا أنفسهم من النظر إليها ، وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم)

ثم بين جل شأنه الحكمة التى من أجلها أمره بذلك ، فتوعد من يخالف أمره ويتعدى حدوده بقوله :

(ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون)

أى ما ذكر من غض النظر وحفظ الفرج أطهر لهم من دنس الريبة وأطيب من التلبس بهذه الدنيئة ، وعليهم بعد علمهم ذلك أن يراقبوا الله فيما به أمر ، ويتركوا ما عنه نهى وزجر ، لأنه جل شأنه خبير بما يصنعون فيجازيهم عليه

وأما بالنسبة للنساء فهى : أن يغضضن أبصارهن ويمنعنها النظر إلى غير أزواجهن ؛ وأن يحفظن فروجهن من الزنا ، ومن رؤية أحد لها ، ولا يظهرن شيئاً من زينتهن للأجانب إلا ما ظهر منها ، ولم يمكن إخفاؤه ، كالرداء والثياب الظاهرة ، وأن يلقين على صدورهن ونحورهن مقانع ليسترنها من أعين الناظرين ، فلا يرون منها شيئاً ، ولا يبدين زينتهن إلا لأزواجهن أو آبائهن أو آباء أزواجهن أو أبنائهن أو أبناء

أزواجهن ، أو إخوانهن أو بنى إخوانهن ، أو بنى أخواتهن أو نسائهن المختصات بهن لخدمة أو صحبة ، بشرط أن يكن مسلمات؛ لأن غيرهن من الكفار لا يتحرجن من وصفهن للرجال ، وذلك يجر إلى المفسدة ، أو ما ملكت أيمانهن من الإماء أو الأجراء والأتباع الذين لا حاجة لهم إلى النساء ، لانقطاع شهوتهم ، أو الأطفال الذين لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها . فهؤلاء لا بأس من إظهار الزينة لهم لعدم توقع حصول ضرر منهم ، وهذا ما أشار الله تعالى إليه بقوله :

(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) الى آخر الآية

وقد شدد الشارع الحكيم فى عدم إبداء الزينة من النساء لما يعلم ما يترتب على ذلك من المضرة والمفسدة حتى نهى المرأة عن أن تضرب برجليها الأرض ليعلم ما خفى من زينتها كالخلخال ونحوه فقال :

(ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن)

ومثل ذلك ما لو كان شىء من زينتها مستوراً فتتحرك لتظهر ما خفى منه ، أو أن تتعطر وتتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها وكذا لبس الملابس التى يتخذها مترفات النساء فى زماننا من « فساتين وبالطوات » وغيرها ، فإن ذلك كله داخل تحت هذا النهى لما فيه من المفسدة والمضرة ، وقد عمت البلوى بذلك

ومثله ما عمت به البلوى أيضاً من عدم احتجاب النساء عن أخوان

أزواجهن ، وعدم مبالاة أزواجهن بذلك ، بل اختـلاطهن بأصحاب أزواجهن ، وكثيراً ما يأمرونهن به ، فإن ذلك كله ممـا لم يأذن به الله ورسوله ، وأمثال ذلك كثير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

ولما كانت أوامر الله تعالى ونواهيـه فى كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وإن ضبط نفسه واجتهد فلا يخلو من تقصير يقع فيه وصى الله المؤمنين لذلك بالتوبة فقال :

(وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلـكم تفلحون)

أى افعلوا ما آمركم به من الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة، واتركوا ما أنهاكم عنه من الأخلاق والصفات الرذيلة ، فإن الفلاح كل الفلاح فى فعل ما أمر الله ورسوله به وترك مانهيا عنه وحذرا منه

ثانيا — إقامة الصلاة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر والصبر وعدم الإعراض عن الناس احتقاراً لهم واستكباراً عليهم ، واستعمال الحد الوسط فى المشى وعدم المشى فى الأرض على سبيل العجب والكبر ، وعدم رفع الصوت عنـد التكلم ، فقال تبارك وتعالى حاكياً ذلك عن لقمان عليه السلام يوصى ابنه :

« يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ، وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ

مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) » « لقمان »

الشرح والتفسير

تشتمل هذه الآيات الكريمة على أهم مكارم الأخلاق والوصايا النافعة والآداب الفاضلة ، فمن ذلك :

١ – إقام الصلاة التى من أقامها على الوجه الشرعى فى الخشوع والخضوع والتعظيم والحياء والذلة والاستكانة ؛ لازم الأدب قلبه،والخشية جوارحه، ونهته عن الفحشاء والمنكر والبغى، وذلك غاية الأدب،ونهاية مكارم الأخلاق

٢ – الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وذلك من لقمان عليه السلام لابنه من باب تذليل النفس ورياضتها لاقبالها على الطاعات ونبذها للمنكرات بلطف . وهذا شأن المعلم الحكيم فان من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر تستنكف نفسه وتكره أن يراه الناس حيث نهاهم فيفعل المليح،ويجتنب القبيح من حيث لا يشعر ، ذلك إلى ما يترتب على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من إرشاد الخلق إلى ما فيه صلاح حالهم واستقامة أحوالهم،وانتظام شئونهم،وتقويم ما اعوج من أخلاقهم

٣ — التمسك بالصبر على المصائب وتحمل الآلام والمشقات التى تحصل له فى سبيل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولذا أمر لقمان ابنه بالصبر وبين له أن الصبر من عزم الأمور ، وهذا ما أشار الله تعالى له بقوله :

« واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور »

٤ — أمر لقمان ابنه بأن يكون متصفاً بأحسن صفات الكمال من الأدب والتواضع والحلم وعدم التكبر على الخلق وعدم احتقارهم والاستخفاف بهم فقال له : (ولا تصعر خدك للناس) أى لاتعرض عنهم بوجهك إذا كلمتهم أو كلموك احتقاراً لهم واستكباراً عليهم بل ألن جانبك لهم وتواضع لصغيرهم وكبيرهم واجلب محبتهم إليك بحسن طبعك معهم ولطف معاملتك لهم فإنهم بذلك يطيعون أمرك ويجتنبون نهيك

٥ — ثم أخذ يبين له ما يجب أن يكون هو عليه فى نفسه من الأخلاق الفاضلة والصفات الكاملة فى عدم المشى خيلاء على سبيل العجب والكبر مبيناً له أن ذلك يغضب الله تعالى ومن استعمال الحد الوسط فى المشى وفى غض الصوت وعدم رفعه عن الحاجة عند التكلم فقال :

(ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور)
(واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)
أى إذا مشيت فى الأرض فلا يكن مشيك خيلاء لأن الله يبغض مَن هـذه حالته ، وإذا مشيت فليكن مشيك لا بالبطىء ولا بالسريع ، وإذا تكلمت فاخفض صوتك ولا ترفعه زيادة عن الحاجة ، فإن الجهر بأكثر من الحاجة مما يضر بالسامع ويؤذيه ، ولأن صوته بذلك يكون منكراً يشبه صوت الحمير الذى هو أقبح الأصوات وأنكرها

وقال الله تعالى فى ذم المتكبرين : « سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ » « الأعراف »

وقال تعالى : « إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ » « الأعراف »

وقال تعالى : « إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ » « النحل »

ثالثاً — نهى الله سبحانه وتعالى عن الفحش والسب والشتم وبذاءة اللسان والجهر بالسوء من القول فقال تعالى :

« لَا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً » « النساء »

الشرح والتفسير

يؤخذ من هـذه الآية الـكريمة النهى عن البذاءة باللسان والجهر بالسوء من القول ، سواء كان ذلك القول السىء شتما أو سباً أو لعناً أو مراء أو خصومة أو ذماً فى حق الغير أو غير ذلك ممـا يدل على حقارة قدر صاحبه ودناءة نفسه وقلة حيائه وسوء تربيته

ولما كان الجهر بالسوء من القول بهذه المـكانة من القبح ، عبر الله عن النهى عنه بما يفيد شدة قبحه وزيادة نكره فقال :

(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول)

ولم يقل ولا تجهروا بالسوء من القول ، أى وحيث كان مبغضاً لله وغير مرضى له ، فهو أولى الأشـياء المنكرة بالاجتناب وأحقها بالترك والابتعاد منه

ثم استثنى جل شأنه من بغضه للجهر بالسوء من القول جهر من ظُلم بأن يدعو على ظالمه أو يتظلم منه أو يذكره بما فيـه من السوء لأنه إنمـا يستغيث ليغاث ، ويستجير لينجد ، ويذكره بسوء لعله يرد عليـه ظلامته ، أو لأن المظلوم مصدور ولا بد أن ينفث ، وهذا لا بد منه من طريق الفطرة ، فرخص الشارع له ذلك

وفى ذلك دلالة على قبح الظلم والظالم ، وعـدم نظر الله له ، وعدم اعتبار حرمته ، وعلى احتقاره له جل شأنه حتى رضى عن مذمة الجهر

بالسوء من القول فى حقه

ثم أخذ جل شأنه يتوعد من يجهر بالسوء من القول فقال :

(وكان الله سميعاً عليماً) أى سميعاً لما تقولونه فى القول السىء، عليماً به فيجازيكم عليه

رابعا — نهى الله عن تتبع الإنسان ما ليس له به علم ، وعن التكبر والتجبر والتبختر فى المشى ؛ لأن ذلك مما يبغضه الله ويكرهه ، فقال تعالى :

« وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ٣٧ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) » « الاسراء »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآيات إلى أدبين من الآداب الشرعية ، وخلقين عظيمين من الأخلاق الطاهرة الزكية:

أولاً — ألاّ يتتبع الإنسان مالا يعلمه ، فلا يقول : رأيت، والحال أنه لم ير ، وسمعت ، والحال أنه لم يسمع ، وعلمت ، والحال أنه لم يعلم ، وهكذا

لأن الله سبحانه وتعالى يسأله عن ذلك كله من أين جاءه العلم بما رآه وسمعه وعلمه؟

وقد جعل جل شأنه لكل عضو من أعضاء الإنسان وظيفة قائماً بها وعملاً خاصاً به يسأل عنه لا عن غيره ، فيسأل السمع عما سمعه ، والبصر عما رآه ، والقلب عما علمه

فإن كان الجواب طبق ما ناط الله به هذه الأعضاء وخلقها لأجله وكلفها به من الأعمال أثابَ صاحبها حيث استعملها فى ذلك

وإن كان الجواب غير مطابق للواقع عاقب صاحبها جزاء تقصيره وعدم استعماله هذه الأعضاء فيما خلقت لأجله

ومعنى سؤال هذه الأعضاء ومحادثتها أن الله سبحانه ينطقها عند سؤالها ، فتخبر عما فعلته وفعله أصحابها ، وهذا الذى أشار الله تعالى له بقوله :

(ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً)

ثانياً — عدم التجبر والتبختر والتمايل فى المشية ، فإن ذلك يبغضه الله ورسوله ، لأنه نتيجة إعجاب المرء بنفسه ، وهو أخبث سرائر القلوب ، وأعظم كبائر القلوب ، ودليل جهل المرء بمقدار نفسه ، وعماه عن عيب نفسه ، حيث رأى قبيحه حسناً ، وخطأه صواباً ، فأوجب لنفسه حقاً لم يستوجبه ، ورأى لها فضلاً لم تستحقه ، ولو أنه تبصر فى

عيوب نفسه قليلاً وتأمل فيما هو عليه من المثالب والمعايب لاستنكف
مما عليه نفسه من الزهو والعجب الذى حملها على هذه المشية التى يبغضها
الله ورسوله ، كما قال مطرف بن عبد الله للمهلب بن أبى حفص عندما
نظر إليه وعليه حلة يسحبها ويمشى الخيلاء : يا أبا عبد الله ما هذه المشية
التى يبغضها الله ورسوله ؟

فقال له المهلب : أما تعرفنى ؟

قال : أعرفك ، أولك نطفة مذرة (أى فاسدة) وآخرك جيفة
قذرة ، وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة (غائط)

فعلامَ الإنسان يتكبر وقدعرف مبداه ومنتهاه ؟

ولذا يقول الله تعالى توبيخاً للمعجب بنفسه المتبختر فى مشيته :

(إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا)

أى لن تثقب الأرض حتى تبلغ آخرها بمشيتك متكبراً ، ولن تبلغ
الجبال طولاً بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك ، بل قد يجازى فاعل
ذلك بنقيض قصده ، كما أخبر جل شأنه عن قارون أنه خرج على قومه
فى زينته فخسف الله به وبداره الأرض

ثم بين جل شأنه أن هـذا الذى ذكر من الإعجاب والتبختر فى
المشى ، وتتبع الإنسان ما ليس له به علم وغيره مما تقدم ذكره ونهى الله
عنه هو قبيح مكروه عند الله تعالى يجب اجتنابه والتباعد عنه بقوله :

(كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها)

خامسا — بين لنا عز وجل أوصاف المؤمنين وما هم عليه من الآداب الفاضلة، والأخلاق الكاملة، وحسن معاملتهم مع الله والخلق ليكون لنا بهم الأسوة الحسنة، والصلات المستحسنة، فقال تعالى:

« وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ٦٣ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ٦٤ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٦٦ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوَامًا ٦٧ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّٰهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٦٨ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللّٰهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٧٠ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللّٰهِ مَتَابًا ٧١ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ٧٢ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ٧٣ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ٧٥ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٧٦ » « الفرقان »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآيات الكريمات إلى بيان أوصاف المؤمنين وأحوالهم الدنيوية والأخروية، وماهم عليه من الأخلاق الزكية والصفات المرضية وحسن معاملتهم مع الله والخلق ، وما أعده الله لهم من النعيم المقيم فى الآخرة، جزاء اتصافهم بهذه الأوصاف الكريمة وتخلقهم بهذه الأخلاق الحميدة

فمن هذه الصفات المرضية والأخلاق الزكية أن يكونوا فى مشيتهم على أحسن ما يكون من السكينة والوقار ، وهذا الذى أشار الله تعالى إليه بقوله :

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) أى بسكينة وتؤدة ووقار

ومنها أن يصانعوا الناس ويجاملوهم ويحسنوا المعاملة معهم فإذا سفه عليهم أحد منهم أو خاطبهم بما لا يليق قابلوه باللطف وعاملوه بالجميل وتبرءوا منه ومن محاكاته فيما يسفه به وهذا ما أشار الله تعالى إليه بقوله :

(وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) أى سلامةً وبراءةً منكم وتركاً لكم ولما تسفهون به ، حتى بذلك يسلمون من الوقوع فى الإثم مثل أولئك الجاهلين

ومنها أن يحسنوا المعاملة مع الله عز وجل بدوام ذكره وطاعته وعبادته وشدة مراقبته ، فيبيتوا له تعالى ساجدين قائمين ذاكرين داعين يقولون : (ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً) أى ملازماً دائماً لأن بياتهم كذلك مما يوجب تنزل الرحمة والرضوان بهم ، لأن الليل أجمع للفكر وأهدأ للبال وأسكن للخاطر وأبعد للذهن من إحاطة الشواغل به ، فكل ذلك من أمارات القبول وإجابة الدعاء ، وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ، إنها ساءت مستقراً ومقاماً)

أى إنها بئست المنزل منظراً ، وبئس المقيل مقاماً

ومنها أن يدبروا أمر معاشهم فيحافظوا على أموالهم ولا يصرفوها إلاّ فى وجوه البر والخير

وقد بين الله جل شأنه الكيفية التى يتصرفون بها فى أموالهم فقال :

(والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً)

أى لا يكونون مبذرين فى إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ، ولا بخلاء فيمنعون أنفسهم وأهليهم وأصحاب الحقوق فى هذه الأموال من

التمتع بها مع ادخارهم لها فى غير منفعة ولا فائدة تعود عليهم منها ، وهذا منه جل شأنه من أكبر الحكم والتعبيرات الإلهيــة التى منَّ الله على عباده المؤمنين بإرشادهم لها

ومنها أن يخلصوا فى الإيمان لله تعالى وحده، فلا يشركوا معه غيره فى العبادة، وأن يأتمروا بأوامره وينتهوا بنواهيه ، فلا يقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، أى بسبب يسوغه، وهو ثلاثة أشياء : زنا بغير إحصان ، وكفر بعــد إيمان ، وقتل نفس بغير نفس ، ولا يتعدون على أعراض غيرهم ، وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(والذين لا يدعون مع الله إلهــاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون)

ثم أشار جل شأنه إلى بيان جزاء من لم يأتمر بأوامره ولم يقف عند حدوده ونواهيه،فقال: (ومن يفعل ذلك يلق أثاماً) أى عقاباً (يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً) أى ذليلاً حقيراً، جزاء مخالفته لأمر الله تعالى وارتكابه ما نهى عنه

ثم استثنى من هؤلاء من تاب إلى الله تعالى ، ورجع عما كان يفعل وندم على ماحصل منه، فإن هؤلاء يتوب الله عليهم ويمحو عنهم ما كانوا عملوه من المعاصى ، ويثبت لهم مكانها طاعات

وهذا التبديل فى الدنيا فيبدل الله لهم إيماناً مكان الشرك، وإخلاصاً مكان الشك ، وإحصاناً مكان الفجور ، وهذا معنى قوله تعالى :

(إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ، ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً)

ومنها ألاّ يحضروا مواطن اللهو واللعب ، وإذا مروا بالاتفاق من غير قصد إلى محل تعمل فيه الأعمال السافلة ، مما ينبغى أن تلغى وتطرح أعرضوا عنها ولم يلتفتوا إليها ، ونزهوا أنفسهم عن الوقوف فيها وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً)

أى لا يحضرون الزور واللهو ، وإذا مروا باللغو (أى الكلام الفاحش) مروا مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه

ومنها أنهم إذا وعظوا بآيات الله تعالى وذكروا بما فيها من المواعظ والحكم لقى منهم ذلك الوعظ صدراً رحباً وأذناً تسمع وقلباً يتدبر ويفهم وجوارح تنقاد وتعمل ، وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا)

أى لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما عن فهمها ، عمايانا عن التقدير فيها

ومنها ألا يقصدوا بقضاء شهوتهم مجرد التلذذ ؛ بل يقصدون أن يخرج من صلبهم ذكور يطيعون الله سبحانه وتعالى ويعبدونه حق عبادته ويدعون الله بذلك لعله يجيب دعاءهم كما يدعونه بأن يرشدوا عباده ويهدونهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم

وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنـا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً) أى أئمة يقتدى بنا فى الخير وهداة مهتدين دعاة إلى الخير

ولما ذكر جل شأنه من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من الصفات الجميلة، والأقوال والأفعال الجليلة ، بين بعد ذلك جزاءهم على اتصافهم بهذه الأوصاف وتخلقهم بهذه الأخلاق فقال :

(أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحيةً وسلاماً خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاماً)

أى أولئك المتصفون بهـذه الأوصاف يجزون الغرفة (أى الجنة) بسبب ماصبروا على مشاق التكليف والطاعات، ورفض الأهواء واللذات ويلقون فيها أى فى الجنة تحيـةً وسلاماً ، أى يبتدرون فيها بالتحية والإكرام ، ويلقون التوقير والاحترام ، من الملائـكة الذين يدخلون عليهم من كل باب ويقولون لهم : سلام عليـكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار خالدين فيها لايموتون ولا يزولون، حسنت مستقرا ومقاماً، أى حسنت منظراً وطابت مقيلاً ومنزلاً

الأحاديث النبوية

١ — حديث فى النهى عن الكبر والعجب

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مَخِيلَةً لَمْ يَنْظُرِ اللهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

« رواه البخارى »

الشرح

أحل الله سبحانه وتعالى لنا الطيبات من الرزق من مأكل ومشرب وملبس لنتمتع بها فى غير معصية ولا طغيان ، ومن شر المعاصى الكبر والإعجاب ؛ لأن الكبر يسلب الفضائل ، ويكسب الرذائل ، ويباعد بين المؤمن وبين التواضع ، وهو رأس أخلاق المتقين، ويورث الحقد والغضب والإزدراء بالناس واغتيابهم ، ويجافى بين المرء وبين الصدق وكظم الغيظ وقبول النصح ، والوقوف على ما يكون فيه من عيب ، واستفادة العلم ، والانقياد للحق ، ومنشأ ذلك استحقاره واستصغاره ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الكبر بطر الحق ، وغمص الخلق) أى رد الحق والمماراة فيه، وازدراء الناس

وللكبر أسباب كثيرة : منها العلم ، وما أسرع الكبر إلى العلماء

فلا يلبث أحدهم أن يستشعر فى نفسه كمال العلم فيستعظم نفسه ويستحقر الناس ويستجهلهم ، وذلك بأن ما هو عليه ليس بعلم حقيقى ، لأن العلم الحقيقى ما يعرف العبد ربه ونفسه وخطر أمره ، وهـذا يورث الخشية والتواضع

قال تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) أو بأنه سىء التحيز خبيث الدخيلة ، فلا يزيده العلم إلا خبثاً وسوءاً

ومنها الحسب والنسب ، فيتكبر من يعرف له علو نسب على من دونه ، وربما يأنف مخالطة الناس ومجالستهم ، ويجرى على لسانه التفاخر بنسبه ، ولقد روى أن أبا ذر رضى الله عنه قال :

لقيت رجلاً عند النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له : يابن السوداء فغضب النبى صلى الله عليـه وسلم وقال : يا أبا ذر ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل)

ومنها المال والقوة والأتباع والعشيرة

فى هذا الحديث يبين لنا الرسول سبباً من أسباب الخيلاء والعجب وهو جر الثوب وإطالته من الرجل أو المرأة ، ولو كان اللبس مع التشمير؛ لأنه يضر بالنفس فى الدنيا ، حيث يكسب المقت من النـاس وإضاعة المال ، وفى الآخرة حيث يكسب سوء الجزاء

أما من قصد إظهار نعمة الله عليه شاكراً عليها غير محتقر لمن ليس مثله ، فلا يضره ما ليس من المباحات

قال عليه السلام : (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير إسراف ولا مخيلة)

وقال ابن عباس : كل ما شئت والبس ما شئت ، ما أخطأتك اثنتان : سرف ومخيلة

ولا شك أن ما هو فى حكم جر الثوب إطالة الأكمام وتوسيعها عن المعتاد ، وقدر بعضهم المذمومة بما نزل من الكعبين إلا إذا كان لمداراة عيب أو عاهة فلا بأس بها

وقيل بكراهتها لما روى من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر رجلاً قد أسبل إزاره فقال : ارفع إزارك . فقال : إنى أخنف (معوج الرجل إلى الداخل) تصطك ركبتاى ، فقال : ارفع إزارك ، فكل خلق الله حسن ؛ ولأنها تدعو إلى الخيلاء ، وتعلق النجاسات بالثوب

فعليك أيها المؤمن بالتواضع تزدد رفعة ، وبالعمل بآداب الدين تزدد من الله قرباً ومحبةً ، وتذكر مبدأك وهو نطفة مذرة ، ومنتهاك وهو جيفة قذرة ، فإنك إن عرفت ذلك لم تأخذك العزة فى غير الحق ، ولا تتعاظم على إخوانك المؤمنين

واذا ذكرت لله عليك فضلاً ونعمةً فاذكر أن لذلك نهاية ومتحولا

فإياك والبطر والخيلاء فإنها ممحقة للبركة ، مذهبة للنعمة ، تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب

وقال صلى الله عليه وسلم فى ذم الكبر والاعجاب :

(لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ مِنْ كِبْرٍ)

« رواه مسلم والترمذى »

وقال أيضاً : (إِنَّ ٱللهَ أَوْصَى أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ) « رواه مسلم وأبو داود »

وقال أيضاً : (ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ)

٢ — حديث فى الحث على القناعة بالرزق والنظر لمن هو أسفل

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أُنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ)

« رواه مسلم »

ولفظ البخارى (إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي ٱلْمَالِ وَٱلْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ)

الشرح

رضا المرء بما ناله من متاع هذه الحياة الدنيا أساس السعادة فيها، والرضا يدعو إلى شكر الله على ما وهب قليلاً كان أو كثيراً ، وفقد هذا الرضا مؤلم للنفس، موقع لها فى الهم والحزن ، مذك فيها نار الحسد

فالنفس التى لا ترضى شقية فى هذه الحياة، ولن تكون يوماً سعيدة مهما حصلت من أغراض هذه الحياة فإنها كلما بلغت درجة تعودتها حملتها وتطلعت إلى غيرها فلم ترض بحالها فتتألم

وقد أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث إلى الطريق الذى يورثنا القناعة ، ويملأ نفوسنا بالرضاء، ويعرفنا نعم الله علينا لنقوم بشكرها الواجب فيزيدنا من نعمه ، ذلك الطريق أن ننظر إلى من هو دوننا فى أعراض الحياة الدنيا دون من هو فوقنا فيها ؛ لأن ذلك يدعو إلى الاعتراف بنعمة الله علينا وإكبارها والشكر عليها ، لا احتقارها والاستهانة بها

وما من حال للمرء إلا وفى الناس من هو دونه فيها ، كما فيهم من هو أعلى منه فيها، فالعاقل ينظر إلى المبتلى بالأسقام وينتقل إلى مافضل به عليه من العافية ، التى هى أساس التمتع بطيبات الحياة ، وينظر إلى من فى خلقه نقص من عمى أو صمم أو بكم أو تشويه فى الشكل ويزن ذلك بسلامته من هذه العاهات وأشباهها

وينظر إلى من ابتلى بالدنيا وجمعها مع إهماله القيام بحق الله فيها ويعلم أنه قد رجحه بالإقلال وبقلة التبعة فى الأموال وبسلامة دينه

وينظر إلى من بلى بالفقر المدقع، والدين المثقل، وينتقل إلى سلامته منهما، وهكذا يزن حاله بأحوال من دونه، فيرى تفضيل الله إياه على كثير من خلقه، ويستعظم نعم الله عليه فيلهج بشكره، ويجد فى عبادته ويرضى بمعيشته، فيسعد فى أولاه وآخرته

أما إذا قصر نظره على من علاه فهنالك الحسد والغم، وهنالك ازدراء النعم، وهنالك التقصير فى شكر الله، والولوع بغاية الغايات من وسائل هذه الحياة وستنفد حياته دونها

أما النظر إلى من فوقه فى العلم والخلق والأعمال الطيبة ووسائل الشرف والعزة، فهو نظر محمود يدعو إلى الترقى فى معارج الكمال، وذلك خليق بكل إنسان يبغى مجداً فى دنياه، ونعيماً فى أخراه

وفى هذا المعنى قول الشاعر:

من رام عيشاً رغيداً يستفيد به ... فى دينه ثم فى دنياه إقبالا
فلينظرن إلى من فوقه أدباً ... ولينظرن إلى من تحته مالا

٣ — حديث فى ترك الإنسان مالايهمه من الأمور

(مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَالَا يَعْنِيهِ)

« عن أبى هريرة »

المعنى

إن المرء يكون مسلماً حسن الإسلام إذا ترك ما لا يهمه من الأمور، ولم يتعلق بما لا شأن له به فى دينه ومعاشه، فلا يتداخل فى أمور الناس

هذا ولا يحسن بالإنسان أن يكون همته حيوانية ، وإن كان هو حيواناً ، ولا إنسية فقط وإن كان إنساناً ؛ بل ينبغى أن يقصد بجميع قواه أن يحيا حياة طيبة ، ويعيش عيشة راضيةً ، فيتتبع أحوال نفسه حتى إذا رآها جانحة إلى السيئات زجرها

ثم يحاسبها كل ليلة قبل النوم ، وينظر ما اكتسب فى نهاره من حسنة فيشكر الله عليها ، وما ارتكب من سيئة فيستغفره منها ، ويعزم بتاتاً على عدم العود إليها ، ويرتب فى نفسه ما يصنعه فى غده من الحسنات ، ويسأل الله تعالى الإعانة على تتميمه ، والابتعاد عن المنكرات

فلا يلبث إن هو سلك بنفسه ذلك المنهج القويم أن يرتدع عن المساوئ شيئاً فشيئاً ، ويتدرب على الآداب ومكارم الأخلاق حتى يصبح كثير الحيـاء ، عظيم الوفاء ، يحب فى الله ، ويبغض فى الله ، ويغضب فى الله

---

٩ - آداب المعاشرة والمعاملة

مع جميع الناس

هى أن يحسن معاشرتهم ومخالطتهم ، وأن يعاملهم برفق ولين ويخفض جناحه للكبير والصغير ، ولا يخاطب أحداً من الناس بغلاظة ولا يتكبر ولا يتعاظم على أحد منهم ؛ بل يستجلب محبتهم بمكارم أخلاقه وحسن معاملته، ولطف حديثه وجميل صنيعه،ولا يكثر المكر والخصومة معهم ، وأن يبتدر من يعرف ومن لا يعرف بالتحية ، وإذا حياه غيره بتحية ردها بعينها أو بأحسن منها ، وأن يلقى غيره بالبشاشة والبشر وطيب الكلام وحسن الأخلاق والأدب ، وألاّ يسفه عليهم ويؤذيهم بقول أو فعل، وأن يعفو عن مذنبهم، ويصفح عن تائبهم، ويتودد إليهم بكل أنواع التودد ، وألاّ يعد أحدا منهم بوعد إلا يفى به ، وأن يكرم حديث أخيه بالإنصات إليه، وحسن الإقبال عليه، وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له فى المكان ويجلس بين يديه بغاية الأدب والسكون والوقار ، وألاّ يتمخط ولا يتثاءب بحضرة من هو أكبر منه سنا أو فضلاً ، وإذا اضطر إلى ذلك حول وجهه وامتخط فى منديل ، أو وضع على فمه منديلاً ، وألاّ يضع رجلاً على رجل بحضرة من هو أكبر منه من قريب أجنبى إلى غير ذلك من الأخلاق الفاضلة، والصفات الكاملة

وقد جاء القرآن الكريم مبيناً لهذه الآداب على أحسن وجه وأكمل مرشد إلى ما يجب التخلق به ، ويلزم استعماله فى معاملة الخلق فى كل ما يجلب رضاهم ومحبتهم ، فتتحد كلمتهم ، وتتألف جامعتهم ، ويسعون لأنفسهم فيما يجلب لهم الخير ، ويدفع عنهم الشر والضير

فمن ذلك ما حث الله سبحانه وتعالى عليه من مقابلة الإساءة بالإحسان ، والذنب بالغفران ، والغضب بالحلم ، والغيظ بالكظم ، مع بيان الثمرة المترتبة على ذلك وفضل من اتصف بهذه الأخلاق الحميدة ، فقال تعالى :

« وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » « فُصِّلت ٣٣ »

الشرح والتفسير

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان إلى بيان ما أمر الله به عباده المؤمنين من حسن المعاملة مع صنوف الخلق ، الصغير منهم والكبير ، فإن أغضبهم أحد صبروا ، وإن جهل عليهم حلموا ، وإن أساء إليهم عفوا عنه ، وإن أذنب فى حقهم ذنباً غفروه ، وأغفوا عما حصل منه من الهفوات ، وتجاوزوا عما صدر منه من الغلطات ، فان فعلوا ذلك صار العدو لهم صديقاً ، والبعيد عنهم قريباً ، والمبغض لهم حبيباً ، وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أَحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم)

أى إن الحسنة والسيئة متفاوتتان فى ذاتهما ، فخذ بالحسنة التى هى أحسن من أختهاوادفع بها السيئة التى تعرض عليك من بعض أعدائك كما لو أساء إليك رجل إساءة ، فالحسنة أن تعفو عنه ، والتى هى أحسن منها أن تحسن إليه مكان إساءته إليك . مثل أن يذمك فتمدحه ، أو يشتمك فتعطيه جائزة ، فإنك إن فعلت ذلك وأحسنت إليه من حيث أساء إليك ، قاده إحسانك إلى مصافاتك ومحبتك ، والحنو عليك حتى يصير كأنه ولى حميم ، أى قريب إليك من الشفقة عليك

ثم أشار جل شأنه بعد أن أوصى عباده المؤمنين بحسن المعاملة ومقابلة الإساءة بالإحسان ، وبين الثمرة المترتبة على ذلك ، وأخذ يمدح من عمل بهذه الوصية وحافظ على هذه المزية فقال :

(وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)

أى وما يقبل هذه الوصية ولا يعمل بها إلا من اتصف بالصبر وثبات القلب وقوة العزيمة ، لأنها من الأمور الشاقة على النفس التى لا يحتملها إلا من كانت هـذه حالته ، وذو نصيب وافر من السعادة فى الدنيا والآخرة

وعلَّم الله نبيه صلى الله عليه وسلم محاسن الآداب ومكارم الأخـلاق. وحسن المعاملة مع صنوف الخلق سواء المطيع منهم والعاصى فقال :

« وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ » « الشعراء ٢١٥ »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى بيان ما أرشد الله إليه نبيه عليه الصلاة والسلام عن كيفية معاملته لمن اتبعه من المؤمنين ومن عصاه منهم فقد أمره أن يلين جانبه ، ويتواضع للمؤمنين؛ لأن ذلك أدعى إلى اجتماع كلمتهم ومحبتهم له، وقيامهم بكل ما يرضيه، وبذلهم النفس والنفيس فى سبيل تنفيذ رغائبه، وسعيهم فى إعلاء كلمته، ونصرته على أعدائه

وهذه الآية -وإن كان المأمور فيها بخفض الجناح واستعمال اللين واللطف وحسن المعاملة والمجاملة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن الأمر يسرى لأمته وأتباعه بطريق التبع ، لأن كل أمر له أمر لأمته ما لم يرد نص مخصوص

وعليه فيجب على كل مؤمن أن يعامل جميع الناس بالرفق واللين والتواضع ، وأن يستجلب محبتهم إليه بمكارم أخلاقه وحسن معاملته ولطف صنعه، سواء المحسن منهم والمسىء فإن ذلك أدعى لمعونتهم له وقت الحاجة ، وإغاثتهم له وقت الشدة ، ونصرته وقت الحرج والضيق

وقال جل ثناؤه يعلمنا حسن معاملة بعضنا بعضاً ويرشدنا إلى أهم أسباب المودة والمحبة من التحية وحسن السلام :

« وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا » « النساء ٨٥ »

الشرح والتفسير

يقول الله تعالى إرشاداً لعباده المؤمنين ، وتعليماً لأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم :

(وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها)

أى إذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه بأفضل مما سلم عليكم ، فإن قال لكم : السلام عليكم ، فقولوا له : وعليكم السلام ورحمة الله ، وإن قال لكم : السلام عليكم ورحمة الله ، فقولوا له : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وليس فى السلام زيادة على ذلك ، أو ردوا عليه بمثل ماسلم عليكم واقتصروا على مثل اللفظ الذى جاء به

وقوله تعالى : (إن الله كان على كل شىء حسيباً) أى يحاسبكم على كل شىء من أعمالكم ، ويدخل فى ذلك ما أمروا به من رد التحية

ومن الآداب التى أدب الله بها عباده عدم السخرية بالناس، وترك اللمز والتنابز بالألقاب ، وسوء الظن بالناس،والتجسس والغيبة ، فقال تعالى :

« يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ »

« يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ » « الحجرات »

الشرح والتفسير

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان إلى ماعلمنا الله من الصفات الحسنة والأخلاق المستحسنة وهى :

١ — الاّ يسخر أحد بأحد ويستخف به ويستحقره

٢ — وألا يعيب أحد على أحد بشيء يكرهه

٣ — وألاّ يدعو أحد أخاه بلقب يكرهه

٤ — وألاّ يسيء ظنه بأحد من إخوانه المؤمنين

٥ — وألا يبحث ويفتش عن عورات المسلمين ومعايبهم ويستكشف ما ستروه

٦ — وألا يذكر أحد أخاه بما يكرهه فى غيبته

فإن ذلك كله مما نهى الله عنه، ورغب فى التباعد منه

١ — فنهى الله عن السخرية بالناس، والاستخفاف بهم بقوله :

(يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن)

أى لا يصح أن يستهزئ أحد بأحد، ولا يحقره، ولا يستخف به سواء أكان من الرجال أم النساء لمجرد أن رآه رث الهيئة أو فقيرا أو ذا عاهة فى بدنه أو غير ذلك؛ لأنه ربما كان المسخور منه عند الله خيراً من الساخر فيكون الساخر قد ظلم نفسه بتحقيره من وقره الله تعالى

والسخرية إنما تحرم إذا كانت فى حق من يتأذى بها ؛ أما من جعل نفسه سخرية ، وربما فرح بها كما يفعل السفلة من الناس ، كانت السخرية فى حقه من جملة المزح وليس بمحرم

٢ — ونهى الله عن أن يعيب أحد غيره بقوله : (ولا تلمزوا أنفسكم) أى لا يعب بعضكم بعضاً بقول أو بفعل أو بإشارة ؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه

وهذا أدب كبير أدب الله به عباده المؤمنين ليكون سبباً فى ألفتهم واتحادهم وارتباط قلوبهم بعضها ببعض

٣ — ونهى الله عن أن يدعو أحد أخاه بلقب يكرهه بقوله : (ولا تنابزوا بالألقاب) لأن ذلك يزرع فى القلوب الضغينة ويمكن

فيها الحقد والبغض ، وهو مما أمر الشرع الشريف بإزالته ، ولذا سمى
جل شأنه التنابز بالألقاب الذى هو داعية الحقد والبغض فسقاً ، وذمه
بقوله :

(بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)

٤ — ونهى عن كثير من سوء الظن بالناس بقوله :

(يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم)

والمراد بالظن المنهى عنه مجرد التهمة التى لا سبب لها

ويشترط فى حرمة هذا أن يكون المظنون به ممن شوهد منهم التستر
وعهد فيهم الصلاح والأمانة

أما من يتعاطى الريب ويجاهر بالفجور والمنكرات كالدخول
والخروج إلى حوانيت الخمور وصحبة الغوانى الفاجرات فلا يحرم
سوء الظن فيه

٥ — نهى الله عن البحث والتفتيش عن عيوب الناس وعوراتهم بقوله :

(ولا تجسسوا) أى لا تبحثوا عن عورات المسلمين ، ولا تستكشفوا
ما ستروه ، فإن ذلك فضيحة لهم وتعرض لما لا يعنى ولا يفيد

٦ — ونهى عن أن يذكر أحد أخاه بما يكرهه فى غيبته بقوله :

(ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً
فكرهتموه)

أى لا يذكر بعضكم بعضاً بما يكرهه فى غيبته سواء أكان باللسان

أم بالفعل أو بالإشارة أو بالكتابة أو غير ذلك مما يفيد المقصود ويفهم نقصان الغير وتعريفه بما يكره ، فإن علة النهي عن الغيبة الابتداء بتفهيم الغير نقصان المغتاب وهو موجود حيث أفهم الغير ما يكرهه المغتاب بأي وجه كان من طرق الافهام

وسواء أكان ذلك الشيء المكروه الذي يذكره به نقصاً في بدنه أم نسبه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه ، حتى في ثوبه وداره وماله وولده وزوجه ومملوكه وخادمه وغير ذلك من كل ما يتعلق به

فذلك كله مما كرهه الله ونهى عنه حتى جعل المغتاب كأنه يأكل لحم أخيه ميتاً ، ذلك الأمر المستبشع طبعاً وعقلاً وشرعاً

ومحل حرمة الغيبة إذا لم يكن المغتاب مجاهراً بالمعاصي ، متهتكاً لا يبالي بما يفعل ، فإن الغيبة في مثله جائزة ، وذلك لأن الذي يعلن بالفجور والفسوق، ولا يستحي من عصيان الخالق، ولا يستتر عن المخلوق فيما يأتي من الكبائر، ويظهر من الفضائح والمناكر ، قد كشف أستاره وأبدى عواره ، فخرج من حد الظن إلى حد اليقين ، فمثل ذلك ليس هو المقصود من النهي ، وقيل : لا غيبة في فاسق

وبعد أن أمر جل شأنه بترك هذه المنهيات حث على التقوى فقال :

(واتقوا الله) ثم علل الأمر بالتقوى بقوله :

(إن الله تواب رحيم) أي كثير التوبة لمن اتقاه واجتنب ما نهى عنه وتاب مما فرط منه

وقال تبارك وتعالى يعلم نبيه صلى الله عليه وسلم لطف المعاملة وحسن المصانعة مع اليتامى الأذلاء والفقراء الضعفاء :

« فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » « الضحى »

الشرح والتفسير

يؤخذ من هذه الآية الكريمة وجوب حسن معاملة اليتيم ، وهو الذى فقد أباه وهو صغير ، والسائل الذى ألجأته الحاجة والفاقة إلى ذل السؤال، وتكفف الناس

فحسن المعاملة مع اليتيم ألاّ يقهره ولا يغضبه ، وألا يأخذ منه حقاً هو له ، وأن يكون له كالأب الرحيم للولد البار ، فيسعى فى نماء ماله إن كان له مال ، وفى تعليمه وتربيته ، ويحسن كفالته فلا يذله ولا ينهره ولا يهينه ، ولا يفعل به أمراً يكدره ، أو يحصل له منه ضرر

وحسن المعاملة مع السائل تكون إما بالإجابة عما سأل والنصح له مع عدم التكبر والتجبر والفحش فى القول ، وإظهار الفضل عليه إن كان سائلاً عن علم ، وإما بإعطائه سؤله أو رده بلطف ولين ، وتعطف به إن كان محتاجاً ، يسأل ما يسد به رمقه ؛ لأنه لا يصح مع ذل السؤال الذى اضطرته إليه الفاقة أن تكون معه الفظاظة والكبر والغلظة من المسئول ، فإن ذلك من قلة المروءة وخسة الطبع ما لا يخفى

وقد حث الله على الاتحاد والألفة والإخاء ، وما يترتب عليهما من المودة والولاء ، فقال تعالى :

« وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » « آل عمران ١٠٣ »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى فضل الاتحاد، وعظيم المنة به على العباد وما تفضل به الله عليهم من عظيم المنة ، وجزيل النعمة ، إذ جمع قلوبهم بعد الشتات ، ووحد كلمتهم بعد الافتراق ، ومنحهم التحابب والتوادّ ، بعد التباغض والتحاسد ، وصاروا إخواناً أحباء ، بعد أن كانوا خصوماً ألداء ، وذكرهم بجليل آلائه ، وجزيل نعمائه ، ليشكروه على ما تفضل به وتكرم ، وأحسن وأنعم

وقد أمرهم جل شأنه بالاعتصام بحبله المتين ، والتمسك بدينه القويم والعمل بما فيه ، والنزول عند حكمه ، والاجتماع على نصرته ، والذب عن حوزته ، والتفانى فى إعلاء حكمته ، ونهاهم عن التفرق فيه ؛ وعدم الائتلاف والسعى فما يجلب الشقاق والاختلاف ، فقال : (واعتصموا

بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) أى تمسكوا بدينه واعملوا بما فيه مجتمعين على ذلك ، ولا تفرقوا عن الحق الذى أمرتم بالاعتصام به .

ثم أخذ جل شأنه يذكرهم نعمته عليهم بأنهم كانوا أعداء مختلفين يقتل بعضهم بعضاً لا يهنأ لهم عيش ، ولا تصفو لهم حياة ، فألف بين قلوبهم فصاروا بعد هذه الأفعال الشنيعة ، والأعمال القبيحة ، إخواناً أحباء ، مجتمعين مؤتلفين متحابين يساعد بعضهم بعضاً ، ويود أحدهم لأخيه ما يود لنفسه فقال : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً)

وهذا الخطاب للأنصار رضوان الله عليهم ، وذلك أنه كان بينهم حروب كثيرة فى الجاهلية ، وعداوة شديدة وضغائن وأحقاد طال بسببها قتالهم ، ولم يكن بينهم وبين الوقوع فى النار إلا أن يموتوا كفاراً . فلما جاء الإسلام ودخل فيه من دخل منهم صاروا إخواناً متحابين متواصلين متعاونين ، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه ، وذلك من أكبر النعم ، وأعظم المنن

ولذا أمرهم جل شأنه بتذكرها ليكون ذلك داعياً لشكره على إحسانه إليهم

وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله : (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)

وقال جل ثناؤه فى بيان أن التنازع والتفرق فى الكلمة والرأى يسبب الضعف والخذلان، والفشل فى جميع الأزمان :

« وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » « الأنفال ٤٦ »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى ما نهى الله عنه عباده المؤمنين عند مقاتلة الأعداء من التنازع والاختلاف فى الكلمة والرأى ، مبيناً لهم المضار التى تنتج عن ذلك من الفشل والخذلان ، وتمكن العدو من الوقيعة بهم ، والنصر عليهم ، وذلك لأن اختلافهم فى الرأى يحل من عزائمهم ، ويضعف من قوتهم ،ويثبط من همتهم ، فإذا حمل عليهم العدو قابلوه بقلوب خائرة، وعزائم فاترة ،وهمم كايلة ، وقوة ضئيلة ، فينال منهم العدو ما لا يمكن أن يناله مع الاتحاد ، ولأنهم بتنازعهم وتخاذلهم وضعف همتهم قد أضافوا إلى العدو قوة بقدر الفتور الذى حصل فى عزائمهم والضعف الذى وجد فى قلوبهم ،فبعد أن كانوا إلباً عليه، صاروا عوناً له ومن الغريب أنهم أمنوه على أنفسهم

فما أحسن ما أرشد الله إليه عباده من نعمة الاتحاد والائتلاف !

ولما كان عدم التنازع والفشل ليس كافياً فى قمع العدو والنصرة عليه ؛ بل لا بد معه من اصطحاب جميل الصبر ، نبه الله جل شأنه على وجوب العمل به، فقال : (واصبروا إن الله مع الصابرين)

أى معينهم وناصرهم

الأحاديث النبوية

١ — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ) « عن أبى هريرة »

المعنى

المسلم الكامل الإسلام من سلم الناس ، أى نجوا من شر لسانه وأذى يده ، والمؤمن الصادق الإيمان هو الذى يجعل الناس فى أمن واطمئنان إذا هم أمنوه على دمائهم ، أى أنفسهم وأرواحهم ، وعلى أموالهم أى ما يملكون ، وفى حديث آخر :

(أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِسْلَامًا مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَأَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) « عن ابن عمر »

٢ — حديث فى الظن والتجسس والتحاسد والتدابر

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلَا تَجَسَّسُوا

وَلا تَحَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إخْوَانًا ، كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ تعَالَى

(الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : مَالُهُ ، وَدَمُهُ ، وَعِرْضُهُ ، إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ، التَّقْوَى هٰهُنَا ، التَّقْوَى هٰهُنَا - ويشيرُ إلى صدره -)

« رواه البخارى ومسلم »

الشرح

فى هذا الحديث الشريف نَهىٌ من النبى صلى الله عليه وسلم عن ستة أشياء ، وأمرٌ بالأخوة ، وبيان لما تقتضيه ، ولما حرم من المسلم على المسلم ولما ينظر إليه الرب من المرء ، وهاك البيان :

١ — إياكم والظن : الظن هنا التهمة التى لا سبب لها كمن يتهم رجلاً بالفاحشة من غير أن يظهر عليه أثرها ، فهذا ظن سوء لا مبرر له ، وهو الذى نهى الله عنه بقوله :

(يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعضَ الظن إثم)

ولا يدخل فى الظن المحرم الظن بمن أورد نفسه موارد الريب جهرةً ولا الظن فى الأمور المعاشية ، ولا حسن الظن بالله تعالى ، ويدخل فيه الظن فى الالهيات والنبوات فإنه محرم ، والواجب فيها اليقين

وقد استدل بالحديث على منع العمل فى الأحكام بالاجتهاد والرأى لأنه عمل بالظن ، ولكن أجيب عن هذا بأن الظن المحرم ظن مجرد عن الدليل ، ليس مبنياً على أصل ، ولا تحقيق نظر

وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم الظن بأنه أكذب الحديث واستشكل ذلك من جهتين :

الأولى أن الظن ليس من قبيل الحديث حتى يكون أكذبه ؛ بل هو عمل نفسى ، والثانية أن تعمد الكذب الذى لا يستند إلى ظن أصلاً أشد من الكذب الذى يستند إلى الظن ، فكيف يكون الظن أكذب الحديث ؟ والجواب عن الأولى : أن الظن حديث نفسى فيوصف بالكذب ، إذا لم يطابق الواقع ، أو أن المراد بالظن ما ينشأ عنه من الكلام

والجواب عن الثانية : أن وصفه بذلك للإشارة إلى أن المراد به ظن لا يعتمد على شىء ، فهو لا يطابق الواقع ، فكان لذلك كذباً ، وكان أكذب الحديث ؛ لأن الاغترار به أكثر من الكذب المحض لخفائه فى الأكثر ، ووضوح الكذب المحض ، أو أن وصفه بالأكذبية

مبالغة فى ذمه ؛ لأن الـكذب معروف ، وصاحب الظن معتمد بزعمه على شىء

فـكأنه فى نظره غير قبيح ، فقبحه بوصفه بذلك تنفيراً منه

٢و٣ — ولا تجسسوا[١] ، أى ولا تبحثوا على عورات الناس، ولا تستمعوا إلى حديث القوم من إخوانكم المؤمنين فى أعراض الناس

وقد نهى القرآن عن التجسس ، والمراد المنع من تتبع عورات الناس والبحث عن حالهم بأى طريق ولنكتفى منهم بالظاهر ، ونكل إلى الله أمر الباطن . نعم لو تعين التجسس طريقاً لدرء مفسدة كبيرة ، أو جلب مصلحة عظيمة لم يكن محرماً ، كما إذا علمنا أن أشخاصاً عزموا على ارتكاب جريمة قتل أو سرقة مثلاً ، فتجسسنا عليهم لنحول دون وقوع الجريمة أو لنقبض عليهم ، أو تحسسنا لمعرفة جناة ارتكبوا جريمة ، فإنه لا حرج فى ذلك

٤ — ولا تحاسدوا : أى لا يحسد بعضكم بعضاً ، ويتمنى زوال ما لديه من النعم إليه أو إلى غيره ، مالية كانت أو غيرها ، فإن هذا ينافى خلق المؤمنين الذين يحبون لغيرهم ما يحبون لأنفسهم

وقد نهى الله عن ذلك التمنى بقوله :

---

(١) التجسس : تعرف الشىء من طريق الجس، أى الاختبار باليد ، ويستعمل فى الشر . والتحسس : تعرف الشىء من طريق الحواس، ويستعمل فى الخير

(ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض)

وأمرنا بالتعوذ من شر الحاسد فى قوله :

(قل أعوذ برب الفلق من شر ماخلق - الى - ومن شر حاسد إذا حسد)

والحسد مذموم ، وإن لم يقرن بسعى فى سلب النعمة عن الغير

نعم لو خطر للإنسان فجاهده ، ولم يمكن له فى نفسه يرجى له

الصفح عنه :

(إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذاهم

مبصرون)

٥ — ولا تباغضوا : المراد بذلك تجنب أسباب البغض ؛ لأن البغض

لا يكتسب أبداً ، فكل ما يسبب الكراهة والعداوة محظور على الإنسان

فعله . نعم البغض فى الله محمود ؛ لأنه كراهةً للشر أن يقع ، ومحبة للعبد

أن يقلع ويتطهر ، وهذا إحساس شريف لا يفارق المؤمن

٦ — ولا تدابروا : المراد بالنهى عن التدابر ترك التقاطع والتهاجر

وقال الإمام مالك فى الموطأ : لا أحسب التدابر إلا الإعراض عن

السلام ، يدبر عنه بوجهه ، وهذا نوع منه

٧ — الأمر بالأخوة : أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بالأخوة فى

قوله : (وكونوا عباد الله إخواناً) كما أمركم الله ، أى كونوا كإخوان

النسب فى الشفقة والرحمة والمواساة والصحبة ، كما أمر الله فى قوله :

(إنما المؤمنون إخوة)

فإنه وإن كان خيراً ، فإنه فى معنى الأمر ، والغرض من هذا أن

يكون الشعور بين أفراد المسلمين كالشعور بين أفراد الأسرة الواحدة ، يسعى كل لمصلحة الآخر ، ودفع الضرر عنه ، فإن رابطة الإيمان فوق رابطة النسب ، حتى أنه لا طاعة لمخلوق ، وإن كان أباً ، فى معصية الخالق

قال الله تعالى : (وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً)

٨ — ما تقتضيه الأخوة : المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم

المراد بأخوة المسلم للمسلم توثق العلاقة بينهما توثقاً يستدعى المحبة والمودة ، والرفق والشفقة ، والملاطفة والمؤانسة ، والتعاون فى الخير مع صفاء القلوب ، وبذل النصيحة

وهذه الأُخوة تستدعى نفى الصفات التى بعدها ، فلا ينتقص المسلم حقوق أخيه ، ولا يخذله إذا دعاه لنصرته فى حق ، ولا يستصغره ويحتقره ، فإن ذلك قاطع للأُخوة ، باعث للعداوة ، ويكفى المسلم شراً ذلك الاحتقار الذى يقطع العلاقات ، ويثير العداوات

٩ — حرمة المسلم : كل المسلم على المسلم حرام (دمه ، وماله ، وعرضه) حكمة جامعة فى محافظة المسلم على حقوق أخيه ، وعدم تعديه عليها بغير حق ، فلا يحل لمسلم أن يسفك لأخيه دماً ، كما قال تعالى : (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً) ولا يستباح له مالاً سرقةً

أو انتهاباً ، أو غشاً فى المعاملة ، ولا يطعن فى أوصافه وأخلاقه ، أو آبائه وأجداده ، أومن يمتون إليه بسبب ، فهو يصون موضع الكرامة منه ، ويرعى جانب العزة فيه

١٠ — موضع نظر الرب : فى الحديث الشريف أن الله لا ينظر إلى الصور والأجساد ؛ ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال ، لأنها موضع التقوى

حقيقةً ليست قيمة المرء فى زيه الحسن ، ولا فى صورته الجميلة ولا فى جسمه الضخم ؛ ولكن قيمته فى أعمال طيبة ، صادرة عن قلوب مخلصة ، فمن صفا قلبه وامتلأ بخشية الله وعظمته ، ومحبة الخير للناس ، وصدرت منه أعمال صالحة ، فصلح بها نفسه وأسرته وأهله ، ورفع بها دينه ، فذلك الرجل الذى يستحق نظر الله ورعايته ورحمته ومثوبته ، وإن كان رث الثياب ، نحيف القوام ، تقتحمه الأبصار

فالواجب علينا جميعاً أن نعنى بتطهير الباطن، ولنسارع فى الخيرات، وحذار أن تشغلنا العناية بالظاهر عن العناية بالباطن ، فإن ذلك أخذ بالقشور، وترك للباب ، والله الموفق للخير والصواب

٣ — حديث فى مداراة الأشرار

عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(إِنَّ شَرَّ ٱلنَّاسِ عِنْدَ ٱللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ أَوْ وَدَعَهُ ٱلنَّاسُ ٱتِّقَاءَ شَرِّهِ)   « رواه البخارى ومسلم وغيرهما »

الشرح

الناس فى الآخرة منازل كما كانت أعمالهم فى الدنيا منازل (ولكل درجات مما عملوا) فأحسن الناس عملاً أعلاهم درجة ، وأرفعهم منزلة وأسوأهم عملاً أدناهم درجة وأحطهم منزلة ، وبين هذين درجات متفاوتة ومنازل مختلفة بحسب اختلاف الأعمال وتفاوتها

وفى هذا الحديث بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن شر الناس منزلة يوم القيامة من تركه الناس وودعوه ، وفارقوه وسالموه ، لا لأنه لا خير فيه ، ولا منفعة ترجى من ورائه ، بل اتقاء شره ، وحذر ضره وبغيه ، فهم لا يأمنون إذا كاشفوه بحاله أو نصحوه ليرتدع عن ظلمه ، أو جالسوه أو خالطوه ، أو قابلوا سيئته بالسيئة ، لا يأمنون أن يرميهم بالمقذعات ، ويدبر لهم المكيدات ، التى تضرهم فى نفوسهم أو أعراضهم وأموالهم ، أو مناصبهم ومراكزهم ، فهو أفاك أثيم ، مجرم شرير ، لا يتحامى منكراً ، ولا يجافى مأثماً ، أو هو دَنِّىٌّ من القاذورات ،

إن اقتربت منه أو نبشته هبت عليك رائحته الخبيثة ، ولوثتك نجاسته الغليظة .

فالسلامة منه فى مجانبته ، أو متاركته ومسالمته

فهذا أسوأ الناس منزلة يوم القيامة ، لأنه وباء على المجتمع ، وهل منزلته السوأى إلا جهنم ؟ يصلى سعيرها ويعانى لهيبها ، يستظل بيحمومها ، ويشرب من حميمها ، ويطعم من زقومها ، ويتسربل من قطرانها

ومثل هذا ليس من الإسلام فى شىء ، فإن المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، وليس من الإيمان فى قليل ولا كثير ، فان المؤمن من أمنه النـاس على دمائهم وأموالهم ، فإن كان يحمل لقب الإسلام أو الإيمان فهو لقب مكذوب ، ونعت مسروق

---

٤ — حديث فى الحث على المحبة والصداقة فى الصحبة

(لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)

« رواه البخارى ومسلم »

الشرح

آية الإيمان الحق أن يرى الفرد نفسه عضواً فى المجتمع ، نفعه نفع لنفسه، وضره إضرار بها ، فاذا أحس هذا الإحساس الصادق ، وانطبع

فى نفسه رأى غيره كنفسه ؛ بل رآه نفسه ، فيحب له مثل ما يحب لنفسه : يحب لنفسه علماً واسعاً ، وخلقاً طيباً ، وعملاً صالحاً ، ومكاناً عالياً ، وشرفاً سامياً ، يحب لها بيتاً جميلاً ، ومالاً غزيراً ، وضياعاً واسعة ، وزوجاً صالحة ، وبنين شهوداً ، وركوباً ذلولاً ، وأقرباء مخلصين ، وإخواناً صالحين ، وخدماً طائعين ، فليحب لأخيه ابن أبيه دنا أو علا كل ذلك

أما أن يحب لنفسه أمرا ولا يحبه لغيره ، ويحسده أو يحقد عليه إن ناله فذلك مناف للإيمان ، بل ذلك بقية من آثار الكفران

وكما يحب لغيره ما يحب لنفسه يبغض له ما يبغض لها ، يبغض الفقر والذل والاستعباد والانحطاط ، والبلاء فى المال أو النفس أو الأولاد ، وغير ذلك من الأمور المكروهة فليبغض لأخيه ما يبغض لنفسه وفاء بحق الإيمان

---

٥ — حديث فى معاونة الإخوان فى الدين

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ

عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ ٱلْقِيامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ) « أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما »

الشرح

المراد باخوة المسلم للمسلم توثق العلاقة بينهما كتوثقهما بين إخوة النسب توثقاً يترتب عليه المحبة والمودة والمواساة والنصرة ، وجلب كل خير ، ودفع كل ضر

ومن مقتضى الأخوة أنه لا يظلمه ولا يُسلمه ، وظلمه انتقاص حقه فى نفسه أو ماله أو عرضه ، طيباً أو فاسقاً ، فالظلم باطلاقه محرم ، وقد نهى عنه القرآن فى مواضع كثيرة ، وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(الظلم ظلمات يوم القيامة) رواه الشيخان

وإسلامه خذلانه وتركه لعدوه ينكل به ، أو يقضى عليه

وإذا كان الإنسان يحمى أعضاءه مما يضرها ، فليحم أخاه المسلم الذى اعتمده الشارع كعضو منه ، فلينصره ظالماً أو مظلوماً ، ونصره ظالماً منعه عن ظلمه

وقوله : (من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته) حث على السعى فى مصالح الناس سواء كانت مصالح مالية أو علمية أو أدبية

وقد دلت هذه العبارة على أن الوقت الذى ينفقه الإنسان فى قضاء مصالح لغيره لا يضيع عليه ، بل القدير العليم الذى بيده خزائن السموات

والأرض يسعى فى قضاء حاجاته ، فهو إن بذل للإنسان قليلاً نال به من الله خيراً كثيراً ، فليستعن المرء على قضاء حاجاته بقضاء حاجات الناس وهذا المعنى يدخل فى عموم قوله تعالى : (إن تنصروا الله ينصركم)

وقوله : (من فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) حض على السعى فى دفع البلايا التى تحل بالمسلمين فى الحياة الدنيا ، فمن أصابته مسغبة بذلت له من مالك أو حثثت الأغنياء على معونته ، ومن بُلى بالعطلة سعيت له فى عمل ، ومن حاق به ظلم ظالم رفعت عنه الظلم ما وجدت لذلك سبيلاً ، ومن انتابه مرض داويته ، أو أحضرت له طبيباً

وعلى الجملة تسعى لإخوانك فى إزالة النوائب أو تخفيفها

وقد ضمن الله لفاعل ذلك رفع الكرب عنه يوم القيامة ، وكرب يوم القيامة شديدة لا تماثل كرب الدنيا ، فليس لدرئها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا معونة تقدمها فى الدنيا لذوى الحاجة

وقوله : (من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة) حث على ستر زلات أخيه المسلم إذا اطلع عليها ، وظاهر هذا الإطلاق يشمل كل زلة صغيرة كانت أو كبيرة مما يوجب الحد، كسرقة ، وزنى ، وشرب خمر فستر الجميع مطلوب ، ولكن للعلماء فى ذلك تفصيل فقالوا : إذا رأى المجرم أثناء ارتكابه الجريمة تقدم إليه منكرا ومنعه منها ما استطاع، فإن تركه كان آثماً لأنه لم يقم بواجب النهى عن المنكر ويعتبر كمساعد له على

الجريمة والله تعالى يقول : (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وإن عرف الجريمة بعد ارتكابها ، فإن كان مرتكبها من المعروفين بالإجرام وجب عليه تبليغ أولى الأمر (الإدارة أو النيابة) ما لم يخش من ذلك مفسدة راجحة ، لأن الستر فى هـذه الحال يدعوه إلى التمادى فى الإجرام ، ويجرئ غيره من أهل الفساد على الطغيان ، وإن لم يعرف بالإجرام فالستر عليه مستحب ، ويجوز له تبليغ أولى الأمر ، ولا يكون بذلك آثماً ما لم يفهم أنه تاب وأقلع ، فإن التبليغ يحرم عليه

وقد قالوا : إن جرح الشهود والرواة والأمناء على الأوقاف والصدقات وغير ذلك من باب نصيحة المسلمين الواجبة على كل من اطلع عليها

ولا يعتبر ذلك من باب الغيبة، ولا من قبيل هتك العورة ، ومدار البحث فى هذا الموضوع أن النهى عن المنكر واجب قولاً وعملاً لمن استطاعه ، فلا نمكن شخصاً من ارتكاب جريمة أو إتمامها إن استطعنا وأن العورة أو السيئة إذا كان فى الإخبار بها مصلحة للمسلمين أو دفع مضرة عنهم وجب التبليغ إلى من يملك التأديب

وإن كان فى الإخبار بها مجرد الفضيحة ولا مصلحة من ورائه ، فينبغى الستر خصوصاً على الذين لم يعرفوا بالفساد

واعلم أن هناك عيوباً خلقية ، مستورة عن عيون الناس ، ويؤلم الشخص أن تعرف عنه ، فالواجب على من اطلع عليها ألا يذيع أمرها ، فإن الإذاعة إيذاء ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

وقد وعد الله ساتر العورات بالستر عليه يوم القيامة ، فلا يفضحه على رءوس الأشهاد ، بل يتجاوز عن سيئاته بما قدم من حسناته

وقال الشاعر :

لا تهتكن من مساوى الناس ما ستروا ... فيهتك الله سترا من مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ... ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وقال الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه :

إذا رمت أن تحيا سليماً من الردى ... وذنبك مغفور وعرضك صين

لسانك لا تذكر به عورة امرئ ... فكلك عورات وللناس ألسن

وعينك إن أبدت إليك مساوياً ... فدعها وقل ياعين للناس أعين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ... وفارق ولكن بالتى هى أحسن

---

٦ — حديث فى تعاون المؤمنين بعضهم لبعض

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)

(ثم شبك بين أصابعه) « رواه البخارى ومسلم »

الشرح

مثل المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً

فالمؤمنون شأنهم التعاون والتناصر ، والتظاهر والتكاتف فى مصالحهم الخاصة، والمصالح العامة، لقوله تعالى :

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »

أما التفرق والتخاذل فلا يعرفه الإيمان وليس من الدين فى شىء

فإن كان التعاون كانت القوة للمسلمين ، والشوكة للموحدين يستخدمونها فى التنكيل بعدوهم حتى يستردوا حقوقاً مغصوبة ، وأرضاً منقوصة، أو يرهبون بها من يحدثهم جشعهم باستلاب ملكهم، واستعمار بلادهم ، فلا يقدمون على ما عرفوا وبيتوا وقدروا ، أو يسخرونها فى الانتفاع بخيرات هذا الكون وتذليل عناصره بعمل الجمعيات وإنشاء الشركات وإقامة النقابات

وبقدر ما بين المسلمين فى أنحاء الأرض من حسن الصلات، وتوثيق العلاقات، تكون قوتهم وثبات ملكهم وقيامه خالدا

وإن كان التخاذل والتدابر والتقاطع ونقض عرا الإخاء وانصراف كل إلى نفسه وهواه وشهوته ، كان الضعف والانحطاط والفشل والخور فضيحةً من عدونا، وإبراق وإرعاد يزلزل ملكنا، ويذهب بمجدنا، ويجعلنا أذلاء فى ديارنا ، بل ضعفاء فى ديننا، فلا دنيا حصلنا، ولا ديناً أقمنا، ولا ثواباً آجلا ضمنا، فخسرنا الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين

ولقد مثل الرسول صلى الله عليه وسلم اتحاد المسلمين ومشورة بعضهم لبعض بالتشبك بين أصابعه ، وإدخال بعضها فى خلال بعض،

ولا شك أن ذلك يزيد فى متانة كل أصبع ، ويعطى كل يد قوة إلى قوتهـا ، كذلك المسلمون إذا تضامّت أيديهم ، وتظاهرت قواهم ، وتحابّت نفوسهم ، وتساندت أممهم ، زادوا قوة ، وكوّنوا لهم عزة ، تدين الأمم لسلطانهم ، وتخضع لأمرهم (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)

فيأيهـا المسلمون ذالـكم رسولـكم ، وأسوتكم وإمامكم ، يرشدكم إلى مافيه صلاح أمركم ، فاستمعوا لإرشاده ، واعملوا بنصحه ، فإنه من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن يعصه عصاه ، واذكروا قوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وقوله : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)

---

٧ — حديث فى ائتلاف الأرواح واختلافها

عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت النبى صلى الله عليـه وسلم يقول :

(الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ٱئْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا ٱخْتَلَفَ) « رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة »

الشرح

من الظواهر التى تراها فى الاجتماعات العامة ، ميل كل امرىء إلى من يشا كله ويناسبه روحاً وخلقاً ، أو ديناً وأدباً ، أو مبدأ ومذهباً

أو حرفةً وعملاً ، فترى المجتمعين بعد مدة وجيزة من بدء الاجتماع قد انقسموا جماعات ، تتحدث كل جماعة فى شئونها الخاصة ، وأمورها المشتركة، وتتغير نفوسها إذا رأت دخيلاً بين جماعتها، لا تربطه بهم صلة ولا تجمعهم به جامعة

وتجلس فى ركوب عام، قطار أوسفينة أو ترام، أوسيارة أوفى مجلس من المجالس ، فترى نفسك منجذبة إلى بعض الحاضرين ، نافرة من آخرين ، وربما لم يكن قبل هذا اجتماع أو تعارف ، ولا عداوة أو تخاصم فما سر هذا التآلف والتحابّ ؟ وما علة هذا الاختلاف والتنافر ؟

ذلك ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث فهو يقول :

إن أرواح العباد ونفوسهم جنود مجتمعة ، وجيوش مجيشة ، فالتى بينها تعارف وتشاكل ، وتوافق وتناسب يألف بعضها بعضاً ، ويسر باجتماعه، ويفرح للقائه ، لاتفاق فى المبدأ ، وتقارب فى الروح

أما التى بينها تناكر وتباين، وتباعد وتغاير،فإنها تختلف، وينفر بعضها من بعض ولا يود لقاءه

فالأجناد الأبرار ، الأمجاد الأطهار، إذا وجدوا فى مجتمع جذبوا أشباههم ، أو انجذبوا إليهم ، وسرى بينهم تيار من المحبة جمع قلوبهم ووثق فيها روابط الصلة ، وعز الإخاء والمودة

أما من لا يشاكلهم فتنفر منه قلوبهم

وكذلك الأشرار الفجار إذا حلوا بناد بادر إليهم أحزابهم وجذبهم قرناؤهم ، ونفروا ممن لا يتخلق بخلقهم ، ولا يسير فى سبيلهم

فإذا عرفت رجالاً بالبر والاستقامة ونفرت منهم نفسك ، ونبا عنهم قلبك ، فاعلم أن فيك عيباً ونقصاً ، وأنك دونهم فى الطهارة ، فداوِ نفسك من عيوبها ، وطهرها من أوزارها ، حتى تتقارب الأرواح وتنتشا كل النفوس ، فتحل الألفة محل النفرة

وإذا رأيتك ميالاً إلى من تعرفهم بالشر والفسق ، والخلاعة والعهر فاعلم أنك من طبقتهم ، ونسبك فى شجرتهم

فإذا كانت نفسك تحدثك بأنك البر الأمين ، أو الصوفى العظيم ، أو التقى المخلص ، أو الإنسان المهذب ، فكذب نفسك فى حديثها ، اعتقد أنك مخدوع ، وأبله مفتون ، ففتش فى زوايا قلبك تجد للباطل ركناً ، وللشيطان حظا ، وللفساد جوا

وهذا ما جذب قلبك إلى الأشرار

وإذا رأيتك تميل إلى الأخيار وتحب مجالسهم ، وتنجذب نفسك إليهم مع علمك بسوء سيرتك ، واعوجاج طريقتك ، فأدرك أن فيك بقية من الخير ، ولا يزال فيك أمل ، فربِّ هذه البقية ، وقوِّ هذا الأمل حتى يرحل عنك الشر ، وتدخل بجملتك فى حزب الخير

وكذلك إذا كنت طاهرا نقياً ، برا تقياً ، ورأيت فى نفسك بعض الميل للمجرمين أو الركون إلى الظالمين ، فاعرف أن الشيطان قد نفث فيك نفثة ، ونغز فى قلبك نغزة ، فتحصن منه ، واستعذ بالله تنج من شره

فالحديث الشريف يبين لنا طبيعة من طبائع النفوس لننتفع بها فنجنبها الشر ، ونعمرها بالخير

وفى هذا الحديث قال الشاعر أبو نواس :

إن القلوب لأجناد مجندة ... لله فى الغيب والأهواء تختلف

فما تعارف منها فهو مؤتلف ... وما تناكر منها فهو مختلف

واعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق محتاجين بعضهم إلى بعض وجعل الإنسان أكثر حاجة من سائر الحيوانات ، لأن منها ما يستقل بنفسه عن بنى جنسه . والإنسان مطبوع على الافتقار إلى غيره لتحصيل أغراضه، وما يلزم لحفظ حياته ، وكمال عقله ، من الأغذية والمساكن والملابس والعلوم والآداب ، فكل واحد من أفراد الآدميين ناقص بنفسه ، وإنما يجد كماله عند إخوانه ، ولذا قيل :

(الإنسان مدنى بالطبع)

وقد أوجب الله تعالى على الراعى أن تكون نسبته إلى رعيته نسبة أبوية ، وعلى الرعية أن تكون نسبتهم إليه نسبة بنوية ، ونسبة بعضهم إلى بعض نسبة أخوية ؛ فإن لم تحفظ هذه النسب عادت الألفة نفارا ، إذ يطلب كل واحد لنفسه ما يظنه خيرا له،وإن أضر لغيره فتبطل أسباب التعاون المفتح للعمران، ويؤول الأمر إلى اختلاف النظام الذى رتبه الله تعالى لخلقه، وتكون الحياة عذاباً أليماً

فيجب إذاً أن نحرص على الأنس، ونجد فى اكتسابه مع أبناء

جنسنا ؛ لأننا نحن معاشر بنى آدم جميعاً إخوة ، وكل منا للآخر بمنزلة البنيان يشد بعضه بعضاً (كما جاء فى هذا الحديث الشريف) بل بمثابة أعضاء الجسم إذا طرأ على عضو منها مرض تألم له الجسم كله كما سيأتى فى الحديث الآتى

٨ — حديث فى وحدة المسلمين

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ ٱلْجَسَدِ إِذَا ٱشْتَكَى عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ ٱلْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَٱلْحُمَّى)

« أخرجه البخارى ومسلم »

الشرح

يمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين فى هذه الخلال الثلاث وهى التراحم ، والتواد ، والتعاطف ، بالجسد الواحد ، فكما أن الجسد إذا امرض منه عضو تألم له الباقى ، فلم يذق نوماً ، وسرت إليه حرارة الحمى فآلمته فكذلك المؤمنون حقيقةً إذا ناب واحدا منهم نائبة شعر بألمها الباقون فسعوا بما فيهم من العواطف لدفع الألم عنه ، وجلب الخير إليه

فالمسلمون فى مجموعهم كشخص واحد ، وكل فرد منهم بالنسبة

للمجموع كالعضو بالنسبة للشخص ، فالخير يصيب الواحد منهم كأنما أصاب كلهم ، والشر ينوبه كأنما ناب جميعهم

فليعتبر بهذا الحديث بعض الأمم الإسلامية التى لا تألم بما يصيب جارتها ؛ بل ربما ساعدت عدوها على القضاء عليها ؛ وليعتبر به أولئك الأفراد الذين جدوا فى اصطياد مصالحهم الشخصية وإن أضرت بآخرين وإذا ما طلب منهم مواساة إخوانهم ولوا على أدبارهم نفورا ، أولئك لم يتوطن الإيمان بعدُ فى نفوسهم

واعلم أن ليس كل اجتماع ينشأ عنه ألفة واتحاد ومحبة ومودة ممدوحاً إلا اجتماعاً يكون فيه فوائد دينية، وأعمال مرضية كالاجتماع فى الصلوات وطلب العلم والذكر وغيرها من الاجتماعات الخيرية

أما الاجتماع للفسق واللهو وغيرهما من أنواع المنكر فهذا لا فائدة فيه إلا الإثم ، على أنه قلما تأتى مثل هذه الاجتماعات بفائدة تذكر فكم من متحابين كانت محبتهما نتيجة اجتماع من مثل هذه الاجتماعات لم يلبثا فى مودتهما ومحبتهما وتآلفهما وتوادهما إلا ريثما افترقا وتباغضا ، لأنه ليس لهذا الاتحاد أصل ثابت ينبنى عليه ، فهو أسرع شىء إلى الزوال، وأقربه إلى الاضمحلال

ولهذا كان من الواجب اختيار الصاحب قبل صحبته ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم إلى من يخالل)

وما أحسن ما قاله بعض الفضلاء لابنه يوصيه :

يابنى إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صنته صانك ، وإن صحبته زانك ، وإن قعدت بك مؤنة مانك ، واصحب من إذا مددت يدك بخير مدها ، وإن رأى منك حسنة عدها ، وإن رأى سيئةً سدها

واصحب من إذا سألته أعطاك ، وإن سكت ابتداك ، وإن نزلت بك نازلة واساك ، فإن لم تجده فلا تصاحب إلا نفسك

(انظر الصحبة وانتخاب الأصحاب فى كتاب آداب الفتى للمؤلف من ص ٣ إلى ص ٤٠)

هذا وأعظم مؤثر فى الألفة الاجتماعية على الإطلاق (حسن الخلق) وقد حث عليه الدين كثيراً ؛ لأنه موجب للتحاب والتآلف والتوافق فى كل الأحوال ، بخلاف سوء الخلق فإنه موجب للتباغض والتنافر والتحاسد ، فقال الله تعالى لنبيه :

(ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر)

ولقد مدح الله نبيه صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق الذى تؤلف به القلوب ، فقال :

(وإنك لعلى خلق عظيم)

وفى الحديث الشريف : (أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق)

وقال صلى الله عليه وسلم : (أقربكم منى مجلساً أحاسنكم أخلاقاً الموطأون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون)

وقال أيضاً : (المؤالف ألف مألوف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف)

وقال أيضا : (أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً)

وقال أيضا : (إنكم لن تَسعوا الناس بأموالكم ، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق)

وقال صلى الله عليه وسلم : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)

---

٩ — حديث فى فضل كفالة اليتيم

(أَنَا وَ كَافِلُ ٱلْيَتِيمِ فِى ٱلْجَنَّةِ هٰكَذَا ـ وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ ٱلسَّبَّابَةِ وَٱلْوُسْطَى)

« رواه البخارى ومسلم وغيرهما »

الشرح

اليتيم الذى فقد أباه الذى كان يرعاه بنفسه وماله، ويحبه من أعماق قلبه ويؤثر مصلحته على مصلحة نفسه

فالذى يكفل اليتيم ويتعهده وينمى ثروته ، ويهذب نفسه يطمئن والده فى جدثه ، ويعوضه عنه كافلاً رحيماً ، وراعياً حكيماً

فلا جرم أن كان مكانه عند الله عظيماً ، وكان حرياً أن يكون للرسول صلى الله عليه وسلم، فى الجنة صاحباً وقريناً، يتمتع بما فيها من النعيم، كما متع برعايته اليتيم

وفى هذا الحديث ترغيب عظيم فى كفالة الأيتام، والعناية بأمورهم

اللهم وفقنا لخدمة اليتامى ، ووفق المجالس الحسبية للعمل على ما فيه صلاحهم ، وحفظ حقوقهم ، والضرب على أيدى الأوصياء الخائنين

١٠ - آداب الزيارة

من المعلوم أن الإنسان خلق مدنياً بالطبع فلا يمكنه أن يعيش منفرداً، بل لا بد له من مخالطة أبناء جنسه، والمعاملة معهم، والتودد لهم ولما كانت الزيارة، وتودد الناس بعضهم إلى بعض، من أقوى أسباب المحبة، وأمتن روابط المودة، لتبادل المنافع العامة فيما بينهم، التي هي من ضروريات المعيشة للإنسان، وللإفادة والاستفادة، كان من المستحسن بيان ما لها من الآداب والشروط، حتى تأتى بالفائدة المقصودة منها

لذلك جاء القرآن الكريم، وهو المعلم الأول، والمرشد الأكبر، ببيان آداب الزيارة، وما يجب أن يكون عليه صاحبها من الآداب والكمالات

١ — فمن ذلك عدم الدخول فى بيت أحد إلا بعد الاستئذان منه بالدخول ما لم يكن بيتاً غير مسكون فيه متاع له، فله أن يدخله بدون استئذان، وقد بين ذلك بقوله :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ. لَيْسَ

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ » ٢٩ « النور »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآيات الكريمات إلى بيان ما أدب الله به عباده المؤمنين إذا زار أحدهم الآخر ، فبين جل شأنه أنه لا يصح لأى شخص أن يدخل فى بيت لا يملكه إلا بعد أن يسلم على أهله ، ويستأذنهم فى الدخول ، فيقول : السلام عليكم ، أأدخل ؟

فإن لم يجد أحداً فى البيت ، أو وجد وقال له ارجع ، فليرجع من غير معاودة استئذان مرة أخرى

وعليه بعد ذلك أن ينصرف ، فإن ذلك خير له وأفضل لما فيه من البعد عن الريبة والتهمة بالمنكر ، وهذا ما أشار الله تعالى إليه بقوله :

(يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا « أى تستأذنوا » وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم)

هذا إذا كانت البيوت معدة لسكنى أناس مخصوصين

أما إذا كانت معدة ليدخل فيها كل من له حاجة تقصد منها ، كالفنادق وبيوت التجار وحوانيتهم التى فى الأسواق ، فمثل هذه لا بأس من الدخول فيها بغير استئذان ، وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون)

وإنما نهى جل شأنه عن الدخول فى بيوت الغير بغير استئذان لأن من فى البيت من النساء عادةً عند ما يأمن دخول أحد عليهن ربما كشفن ما لا يحل كشفه لقريب بَلْه الأجنبى ، فإذا دخل بغير استئذان كان ذلك داعية الاطلاع على عوراتهن ، وهو ما تأباه المروءة ، ويحرمه الدين والأدب ؛ ولأن فى الدخول بغير استئذان تصرفاً فى ملك الغير بغير إذنه وهو ممنوع

وعليه إذا استأذن ، وقيل له : من أنت ؟ ألاّ يقتصر فى الجواب على قوله : أنا ؛ لأن ذلك لا يفيد العلم به ، والمقصود علم صاحب البيت به حتى يرى أن له رغبة فى دخوله أو مقابلته ، أو لا يرى ذلك فالواجب التصريح باسمه

---

٢ — إذا دخل شخص فى أى بيت سواء كان له أو لغيره وجب عليه أن يسلم على أهل ذلك البيت ، وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى :

« فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً » « النور ٦١ »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى بيان ما أدبنا الله به من الآداب

الشرعية، والأخلاق الطاهرة الزكية، من أنه إذا دخل أحدنا بيته أو بيت غيره سلَّم على أهل ذلك المنزل الموجودين فيه ؛ غير أنه إذا دخل بيت غيره أصحب السلام بالاستئذان كما تقدم فى الآية السابقة ، سواء كانت هـذه البيوت مسكونة أو غير مسكونة ، فإن كانت مسكونة سلم على أهلها واستأذن عليهم إن كانت للغير ، وإن كانت له فلاحاجة للاستئذان وإذا كانت غير مسكونة سلم على نفسه بأن يقول :

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وفى حكمها المساجد

وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحيةً من عند الله مباركةً طيبةً)

أى فاذا دخلتم أى بيت سواء كان لكم أو لغيركم كما يقتضيه العموم فى الآية ، فسلموا على أنفسكم ، أى على أهـله الذين هم بمنزلة أنفسكم، أو على أنفسكم حقيقةً إن لم تكن مسكونة ، تحيةً من عندالله أى ثابتة بأمره تعالى، مشروعةً من لدنه عز وجل ، مباركةً أى كثيرة البركة والخير، دائمتهما، طيبةً إذ بها تطيب نفس المستمع

وفى وصف التحية بأنها من عند الله ، وأنها مباركة ، وأنها طيبة ترغيب فيها، وحث على فعلها، حسب أمره جل شأنه

---

٣ — وقال جل شأنه فى وجوب استئذان المماليك والخدم والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم عند إرادة الدخول على مخدوميهم أو آبائهم فى ثلاثة

أوقات من الليل والنهار ، ووجوب استئذان الأطفال إذا بلغوا الحلم في جميع الأوقات :

« يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ ٱلْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٩ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَالُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا ٱسْتَأْذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » «النور»

الشرح والتفسير

يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا عليكم مماليككم وخدمكم وأولادكم الذين لم يبلغوا سن الحلم فى ثلاثة أوقات وهى : قبل صلاة الفجر ، ووقت القيلولة حين تتجردون من ثيابكم من شدة حر الظهيرة ، وبعد العشاء إلا بإذن ؛ لأن هذه الأوقات الثلاثة هى التى تكون فيها العورة أما فى غير هذه الأوقات فلا بأس أن يدخلوا عليكم بدون استئذان لأنهم طوافون عليكم فى الخدمة، وقضاء حوائجكم الضرورية، ولوازمكم

المنزلية ، ويغتفر فى الطوافين بحكم الضرورة ما لا يغتفر فى غيرهم

أما الصبى إذا بلغ سن الحلم فلا تمكنوه من الدخول عليكم إلا بعد الإذن [(١)]

٤ — وقال جل شأنه فى وجوب دخول البيوت من أبوابها لا من ظهورها :

« وَلَيْسَ ٱلْبِرَّ بِأَنْ تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَى وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا » « البقرة »

حديث فى الاستئذان وإفشاء السلام

قال النبى صلى الله عليه وسلم :

(إِذَا ٱسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثاً فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ ، وَٱلَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى يَارَسُولَ ٱللهِ . قَالَ : أَفْشُوا ٱلسَّلَامَ بَيْنَكُمْ)

عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : كنت جالساً فى مجلس من مجالس

---

(١) انظر آداب الزيارة فى كتاب التربية الاجتماعية من صفحة ١٦٨ إلى ١٩٠ للمؤلف

الأنصار ، فجاء أبو موسى الأشعرى فزعاً فقلنا له : ما أفزعك ؟ فقال : أمرنى أن آتيه فأتيته ، فاستأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لى فرجعت ؛ ثم أتيته ثانياً فوجدته ينتظرنى ، وقد أنكر علىّ فقال لى : ما منعك أن تأتينى ؟ فقلت له : قد جئت فاستأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لى بالدخول ، وقد قال عليه الصلاة والسلام :

« إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع »

فقال عمر : لتأتينى على هذا الحديث بالبينة وإلا عاقبتك

فقال كبير المجلس : لا يقوم معك إلا أصغر القوم

فقام أبو سعيد فشهد له عند عمر أن هذا الحديث قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال عمر لأبى موسى : إنى لم أتهمكَ ، ولكنى خشيتُ أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأما قرع الباب بعنف كما عليه أهل زماننا الآن والتصييح على صاحب البيت فهو منهى عنه لأنه مخالف للآداب ، وكذلك كل ما يؤدى إلى الكراهية ، وينبىء عن الثقل فهو منهى عنه أيضاً

وكيفية الوقوف على الباب عند الاستئذان ألاّ يستقبله المستأذن بوجهه ، بل يقف فى ركنه الأيمن أو الأيسر ، لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكنه يقف فى ركنه الأيمن أو الأيسر فيقول : السلام عليكم ، فإن كان

للبــاب ستر كانت كراهة استقباله أخف من عدم وجود ستر . ثم إن الحـكمة فى شرع الاستئذان قبـل الدخول هى أن الداخل من غير إذن ربما اطلع على عورات أهل البيت ، أو تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه، ويطلع على الأحوال التى تخفيها النـاس فى العادة ، وعلى كل حال فالدخول من غير إذن غير جائز أصلاً ؛ لأنه تصرف فى ملك الغير فلا بد أن يكون برضاه ، وإن لم يكن برضاه ، فإنه يشبه الغصب والتغلب

واعلم أن رسول الشخص يقوم مقام إذنه ، فإذا أرسل إنسان خادمه إلى آخر يدعوه إلى الحضور عنده كان ذلك إذناً له فى الدخول ، لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(إذا دعى أحدكم فجاء مع الرسول فإن ذلك له إذن)

فدل هـذا الحديث على أن الدعاء يعد إذناً للداخل إذا حضر مع رسول الداعى ، فلا يحتاج ثانياً إلى إذن

وقال بعض العلماء : إن من قد جرت العادة له بإباحة الدخول فهو غير محتاج إلى الاستئذان

واتفق جمهور الأئمة على أن إذن الصبى والرقيق والمرأة معتبر والأصح أن الاستئذان على المحارِم مطلوب ، لما روى أن رجلاً قال للنبى صلى الله عليه وسلم : أأستأذن على أمى ؟ فقال له صلى الله عليـه وسلم : نعم . فقال الرجل : ليس لها خادم غيرى ، أأستأذن عليها كلما دخلت عليها ؟ فقال عليـه الصلاة والسلام : أتحب أن تراها عريانة ؟ فقال الرجل : لا . فقال له عليه الصلاة والسلام : فاستئذن

واعلم أن ترك الاستئذان على المحارم وإن كان غير جائز إلا أنه أخف من ترك الاستئذان على الأجانب ؛ لأن المحرم يجوز له النظر إلى شعرها وصدرها وساقها ونحو ذلك من الأعضاء التى لا تعد عورة بالنسبة له بخلاف الأجنبيات

وإنما كان الاستئذان على المحارم مطلوباً ؛ لأن المحرم ربما كانت مشتغلة فى بعض الأحوال بأمر تكره اطلاع غيرها عليه ، فكان الاستئذان عاماً فى جميع المحارم ، فلا يدخل الرجل على الزوجة والأمة إلا بإذن

وأما إذا عرض فى بيت مايوجب هتك الستر من حريق ، أو هجوم سارق ، أو ظهور منكر يجب إنكاره وإزالته ، فلا يجب الاستئذان فى دخول هذا البيت

وأما السلام الذى شرعه الله تعالى فهو من سنة المسلمين التى أمرهم الله تعالى بها وأمان لهم ، وهو تحية الله تعالى لأهل الجنة ، وتحيتهم لبعضهم قال تعالى : (تحيتهم يوم يلقونه سلام)

وقال تعالى : (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام)

وهو أيضاً يجلب المودة وينفى الغل والحقد من الصدور

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حق المسلم على المسلم ست : يسلم عليه إذا لقيه ، ويجيبه إذا دعاه

وينصح له بالغيب ، ويشمته إذا عطس ، ويعوده إذا مرض ، ويشهد جنازته إذا مات »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن سركم أن يسل الغل من صدوركم فأفشوا السلام بينكم)

فيسن لكل مسلم أن يبدأ أخاه بالسلام قبل الكلام ، وأن يصافحه عند السلام؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها ، فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته)

والأحاديث الواردة فى فضل السلام ، والحث على إفشائه كثيرة

فإذا كان الله تعالى قد حثنا على إفشاء السلام فى مواضع كثيرة من كتابه العزيز ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الترغيب فيه والحث عليه ، فمالنا نرى إخواننا المسلمين المصريين تركوا هذه السنة الشريفة ونبذوها وراء ظهورهم ، حتى أنه لم يتمسك بها إلا القليل منهم ولم يرضوا لأنفسهم ترك هذه السنة، بل ابتدعوا بدلها بدعاً متنوعةً فى التحية ، فبعضهم يحيي أخاه بإشارة اليد ، وبعضهم يقلد بعض النصارى واليهود فى تحيتهم التى هى قولهم : نهارك سعيد ، أو ليلتك سعيدة

وقد كانت تحية النصارى بوضع اليد على الفم، وتحية اليهود الإشارة بالأصابع ، وتحية المجوس الركوع ، وتحيتنا معشر المسلمين : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

التحية عند العرب وفى الإِسلام

(نقلاً عن مجلة شمس الإسلام بتونس)

أصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ، ثم استعملت فى كل دعاء ؛ لأن الدعاء بالخير لا يخلو شىء منه عن الدعاء بالحيـاة نفسها ، أو بما هو السبب الموصل إلى قوة الحياة وكمالها ، أو بما هو الغاية المطلوبة من طول الحياة ، وكانت العرب إذا لقى بعضهم بعضاً يقول : «حيَّـاك الله» بمعنى جعل الله لك حياة ، وأطال حياتك

ويقول بعضهم : « عش ألف سنة »

ثم ان المشرع الأعظم جعل التحية فى السلام ، وهو تحية الإسلام قال الله تعالى : « تحيتهم يوم يلقونه سلام » وقال سبحانه : «فسلموا على أنفسكم تحيةً من عند الله »

وقد اختار الإسلام هذه التحية لمـا فيها من الدعاء بالسلامة من الآفات الدينية والدنيوية، فمعنى قول المسلم لغيره : «السلام عليك» الدعاء له بالسلامة من جميع الآفات

وفى ذلك الدعاء الوعد بسلامة المسلم عليه، وأمانه ممن حياه فـكأن المتقدم بالسلام يقول : أنت سليم منى ، فاجعلنى سليماً منك ، وبحصول السلامة يحصل طول الحياة

وهـذه المعانى التى تستفاد من السلام لا توجد فى الدعاء بطول الحياة الذى كانت تستعمله العرب ، إذ ربَّ حياة الموت خير منها ، وربَّ عيش أحب منه الحِمام

قال لبيد متذمراً من سؤال الناس كيف لبيد :

* ولقد سئمت من الحياة وطولها *

زيادة على كون السلام من أسمائه تعالى، والبداية بذكره مما لا ريب فى فضله ومزيته

كيف يتلفظ بالسلام ؟

إذا سلم الإنسان على أخيه يجوز له أن يقول : السلام عليكم (بالألف واللام) وأن يقول : سلام عليكم (من غير الألف واللام) وهو أكثر فى الاستعمال ، وهذه فى غير الصلاة

أما التحليل فى الصلاة فبالألف واللام بالاتفاق ؛ ومن الوارد فى القرآن بالألف واللام قوله تعالى : « والسلام على من اتبع الهدى » ، وبدونها قوله سبحانه : « وسلام على عباده الذين اصطفى »

ما حكم السلام فى الإسلام ؟

البداية بالسلام سنة ، والجواب عنه واجب كفاية ؛ بحيث انه إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين ، ودليل ذلك خبر أبى داود وفى

معناه ما أخرجه البيهقى عن زيد بن أسلم ولم يضعفه :

« يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ، ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم »

فبه سقط الوجوب عن الباقين ؛ لأن الجماعة بسبب ما لها من رابطة الاجتماع يقوم الواحد منها مقام الجميع ويختص بالثواب ، ولو ردوا السلام جميعاً ، ولو مع الترتيب بأن يسلم واحد ثم بعده ثم آخر الى آخر الجماعة أثيبوا ثواب الواجب

كيف يكون جواب التسليم وما ينبغى أن يقوله المسلم ؟

يجوز لمن سلم عليه أن يرد السلام بمثل ما وقع به التسليم ؛ لكن الزيادة أفضل ، والجواب بتحية أحسن منها أكمل ، فيقول المجيب ، إن اقتصر المسلم على قوله : السلام عليكم ، وعليكم السلام ورحمة الله ويقول : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته إذا قال المسلم : السلام عليكم ورحمة الله

وهذا منتهى الأمر فى السلام لكونه جامعاً لكل ما يطلبه الإنسان من المطالب التى هى السلامة من المضار المستفادة من قوله فى الجواب : وعليكم السلام ، ونيل المنافع ودوامها المستفادة من قوله ورحمة الله ، ونمائها المستفاد من قوله : وبركاته

على أن هذا الكمال كما يطالب به المجيب يطالب به المسلم والمحيي

فيكون الأفضل فى حقه الزيادة على قوله : السلام عليكم ، فقد أخرج البيهقى عن سهل بن حنيف أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قال : السلام عليكم ، كتب الله له عشر حسنات ، فإن قال : السلام عليكم ورحمة الله تعالى ، كتب الله له عشرين حسنة ؛ فإن قال : السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، كتب الله تعالى له ثلاثين حسنة)

عناية الإسلام بالسلام

للإسلام عناية خاصة بالسلام ؛ لأن معناه السلامة ، وذلك ممـا يطلبه الأخ لأخيه حتى اعتبر السلام أمانة يجب على من كلف بتبليغها للغائب أن يقوم بذلك عند رضاه بتلك المأمورية

وهذا ما نسمعه من العامة فى بلادنا ، فإنهم يقولون عنـد إرادة تبليغ السلام : السلام أمانة ، فهم يعلمون ما يقوله العلماء فى أن السلام أمانة يجب تبليغها ، وهذا كله يرمى إلى المقصد الأسمى ، وهو الاهتمام المؤدى إلى المؤاخاة حتى قالوا : إذا انتقل المكلف بالسلام من بلد المسلم عليـه يلزمه المشى إليه لتبليغه السلام الذى يحمله إذا لم تكن له كلفة فى ذلك

وفى قوله صلى الله عليه وسلم : وتقرأ السلام ، ما يدل على ذلك ؛ حيث عدل عليه السلام عن لفظ وتسلم إلى لفظ وتقرأ ليشمل السلام مباشرة ، وبالمراسلة ولو مكاتبة ؛ وإذا بلغ السلام يسن الرد على المبلغ بأن يقول : وعليك وعليه السلام

على أنه لا أدل على هذه العناية من كون الإسلام شرع السلام على الأموات سكان المقابر بأن يقول :

« السلام عليكم أهل الديار من المسلمين والمؤمنين ، رحم الله المتقدمين منكم والمتأخرين منا : أنتم لنا سلف ، ونحن لكم تبع ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية »

بل إن الأحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور وسمع كلامه وأنس به ، ورد عليه ، فهناك سلام وتسليم ورد ، وذكر بعضهم أن الجواب يكون بلسان الحال ، وكيفما كان الحال ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم قرر أن وصلة الأخوة لا تنفصم ولو بالموت ؛ بل أمرنا بالاستمرار عليها وعدم نسيانها ، واستحضاراً لذلك المعنى قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها بعد دفن والدها أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى آخر خطبة ارتجلتها وهى قائمة : فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك ، ولا رازئة على القضاء فيك

ومما قرره بعض العلماء من أن الكتابى تبتدئه بالسلام إذا دعت اليه داعية ، ونقلوا أن ابن عباس كان يفعله ، يدل دلالة واضحة على أن إفشاء السلام منظور فيه إلى ذلك المعنى العالى وهو الائتلاف ، على أنه لا يمنع الدعاء لأهل الكتاب فى مقابلته لإحسانهم ، لما روى أن يهوديا حلب للنبى صلى الله عليه وسلم لقحة فقال عليه السلام : « اللهم جمله »

من آداب السلام

إن اظهار البشر عند السلام سنة مشروعة ، فقد أخرج البيهقى عن الحسن قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من الصدقة أن تسلم على الناس وأنت منطلق الوجه)

وعن عمر رضى عنه : إذا التقى المؤمنان فسلم كل واحد منهما على الآخر وتصافحا كان أحبهما إلى الله تعالى أحسنهما بشراً بصاحبه

ويستحب أن يسلم على النساء المحارم من غير تخصيص فى السن ، والعجائز الأجنبيات دون الشابات

ومن السنة أن تجهر فى السلام ، ولا يجهر الجهر الكثير فى الرد ، وأن يسلم الراكب على الماشى، والماشى على القاعد، وراكب الفرس على راكب الحمار، والصغير على الكبير ، والقليل من الناس على الكثير منهم ، ولا يحنى ظهره عند السلام للحديث الحسن الوارد فى نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن فعله: ولا يحنى رأسه ولا يقبل ؛ وإنما السنة المصافحة

استعمال غير لفظ السلام

ان الشارع عين للتحية لفظ السلام للأسباب التى شرحناها ، فان خالف المسلم ذلك وقال : صبحك الله تعالى بالخير ، أو مساء الخير مما

يستعمل عندنا ، فلا يعد ذلك تحيــة ، ولا يكون مستحقاً للجواب ، لـكن لا يمنع ذلك من الدعاء له بنظيره ، إلا إذا قصد بإهماله تأديبه لأنه ترك السنة

وأما التظاهر بالتحية مع إتيانه بكلمة دعاء على المسلم قصداً للإساءة، فإن المستمع بالخيار بين أن يقابل الشر بالحلم ، وبين أن يقابل الإساءة بمثلها ، كما يدل لذلك قوله تعالى :

« وجزاء سيئة سيئة مثلهـا »

وقوله سبحانه : « وأن تعفو أقرب للتقوى »

حديث فى إطعام الطعام ، وإقراء السلام

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما : أن رجلا سأَل النبى صلى الله عليه وسلم : (أىُّ ٱلْإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : تُطْعِمُ ٱلطَّعَامَ وَتَقْرَأُ ٱلسَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) « رواه الشيخان وغيرهما »

الشرح

سأل سائل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير خصال الإسلام وأكثرها نفعاً ، فأجابه : بأن خيرها إطعام الطعام، وإقراء السلام

وقد أجاب الرسول صلى الله عليــه وسلم فى مواطن أخرى بغير هذا الجواب

كالذى سأله : أى الإسلام أفضل ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وسبب الاختلاف فى الجواب اختلاف حال السائلين أو السامعين ، فمن يخشى منه الإيذاء باليد أو اللسان أرشده إلى الكف ، ومن يرجى منه النفع العام بالقول أو الفعل أرشده إلى ذلك

١ — وإطعام الطعام يشمل بذله للمحتاج ، وتقديمه للضعيف ، وإقامة الولائم ؛ بل يشمل بإشارته معونة المسلم بماله أياً كان نوع المعونة ، وأياً كان المال طعاماً أو شراباً أو مسكناً ، أو لباساً أو نقداً

٢ — وإقراء السلام على من عرفنا ومن لم نعرف يزيد المحبة بين المتعارفين، ويجلب الصلة والمودة بين المتناكرين ، فلا نخص من نعرف ، ولا بعض من نعرف تكبراً وتصنعاً ؛ بل إقامة لشعائر الإسلام نبذله لكل مسلم ليتآلف الجميع ، وتزداد الصلة بينهم متانة على أنك لو منعته من لم تعرف « ربما كان ممن تعرف » فإعراضك عنه يوحشه منك

وقد تمسك بالحديث من أجاز ابتداء الكافر بالسلام ، ولا حجة فيه ، لأن السلام شعار الإسلام فيحمل قوله : من عرفت على المسلم ، وأما من لم تعرف فلا دلالة فيه على الكافر ، بل إن عرف أنه مسلم فذاك ، وإن لم يعرف فسلم احتياطاً ، فلا حرج عليه ، حتى يعرف أنه كافر

وخص هاتين الخصلتين بالذكر لمسيس الحاجة إليهما أول الأمر ،

إذ كان المسلمون فى حال بؤس وفقر ، فإن المهاجرين تركوا ديارهم وأموالهم فراراً بدينهم ، والأنصار قاسموهم أموالهم ، وكانوا فى حاجة إلى التعاون والتآلف ، وفى حصولها وسيلة إلى الأعمال الخيرية كلها مالية كانت أو دينية

السلام على مَن عَرفت ومَن لم تعرف

إن فى قوله عليه السلام جواباً لمن سأله عن أى الإسلام خير : « أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » ما يفيد الإحسان للغير والاهتمام به

على أن فى جمعه عليه السلام بين هاتين الخصلتين جمعاً بين المكارم المالية والبدنية ، الطعام والسلام ، ولا شك أن قوله عليه السلام : وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف ، صريح فى الاهتمام المطلوب للشارع لأن معنى الحديث وتسلم على من لاقيته عرفته أو لم تعرفه ، ولا تخص بالسلام من تعرفه كما يفعله كثير من الناس

فالحديث يرمى إلى إفشاء السلام ، لتظهر من المسلم آثار الاهتمام الذى غايته زرع بذور المحبة فى قلوب المسلمين حتى تتم الألفة ويحصل الوفاق ، والاشتراك فى الأعمال الصالحة التى تعود على الجميع بالخير العظيم

وهذا المقصد الأسمى رواه الحاكم عن أبى موسى بقوله عليه السلام : (أفشوا السلام بينكم تحابوا)

وروى البخارى فى الأدب المفرد : (أفشوا السلام تسلموا)

فكل هذه الأدلة متضافرة على تقرب النـاس بعضهم من بعضهم بحسن المعاشرة إذ المرء بأخيه

وفى هـذا التعليم النبوى العالى وعدم تخصيص السلام بمن تعرف ما يدل على أن السلام إنما يكون القصد منه وجه الله تعالى من غير ملق ولا مصانعة لأن المسلمين كلهم إخوة

حديث فى السلام ومَن يبدأ به ؟

عن أبي هريرة قال : قال النبى صلى الله عليـه وسلم : (يُسَلِّمُ ٱلرَّاكِبُ عَلَى ٱلْمَاشِى ، وَٱلْمَاشِى عَلَى ٱلْقَاعِدِ ، وَٱلْقَلِيلُ عَلَى ٱلْكَثِيرِ)

« رواه البخارى ومسلم »

الشرح

السلام تحية مباركة سنها الله للمسلمين . قال تعالى :

« فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحيـةً من عند الله مباركةً طيبةً »

وهـذا الحديث بين لنا الأحق ببدء السلام ، فأولاً الراكب يسلم على الماشى ؛ لأن الغرض من السلام استجلاب المودة ، ودفع النفرة ، وتآلف القلوب ، والراكب أحسن حالاً من الماشى ، فالبدء من جهته

دليل على تواضعه لأخيه المسلم فى حال رفعته ، فكان ذلك أجلب لمحبته ومودته

وحكمة أخرى : أن السلام تحية الوارد على غيره ، والراكب أسرع فى السير من الماشى فى الأكثر ، فكان الوارد عليه ، فندب له الابتداء بالسلام

وإذا تلاقى راكبان أو ماشيان فأيهما أحسن حالاً بدأ أخاه ، فإن تساويا بدأ أيهما شاء ، وللبادئ فضل على غيره

ثانياً — الماشى يسلم على القاعد ؛ لأن السلام تحية الوارد عرفاً ووضعاً والوارد هنا هو الماشى ؛ ثم إن القاعد قد يتوقع الشر من القادم عليه ، فإذا بدأه بالسلام أزال الخوف عنه

وحكمة ثالثة : أن القاعد قد يشق عليه مراعاة المارين مع كثرتهم فسقطت البداءة عنه دفعاً للمشقة

ثالثاً — القليل يسلم على الكثير ، ولعل الحكمة فى ذلك : أنه إذا بدأ الكثير بالسلام على القليل خيف على هذا أن يداخله شىء من الكبر لسلام الكثير عليه

ومن جهة أخرى العدد القليل أسرع مشياً من الجمع الكثير فى الغالب فكان كالوارد عليه ، والسلام تحية الوارد

ومن جهة ثالثة بدء القليل أيسر كلفة فكان أولى

هذا وقد ذكر بعض العلماء أن من مشى فى الشوارع المطروقة

كالسوق ، لا يسلم إلا على بعض من يلقاه ؛ لأنه لو سلم على كل من لقيه تشاغل عن قضاء مهمته التى خرج لأجلها ، وخرج عن العرف المألوف ، والمؤمن حكيم يلبس لكل حال لبوسها

حديث فى إطعام الجائع ، وعيادة المريض ، وتحرير الرقيق

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أَطْعِمُوا الْجَائِعَ ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ ، وَفُكُّوا الْعَانِيَ)

« رواه البخارى »

الشرح

أولاً — إطعام الجائع ، وقد حث على ذلك القرآن فى مواضع كثيرة مثل قوله تعالى فى سورة البلد :

« فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ؟ فك رقبة ، أو إطعام فى يوم ذى مسغبة (مجاعة) يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة (فقر) »

فيجب علينا إطعام الجائع إنقاذاً له من ألم الجوع ، ومحافظةً على صحته بل على حياته إن كان يودى بها فقد الطعام ؛ وليكن إطعامه من خير ما نطعم

وقوله تعالى : (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً)

ولقوله تعالى : (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون)

ثانياً — عيادة المريض أو زيارته ، وقد أوجبها بعض الفقهاء

كإطعام الجائع وفك الأسير ، وهى حق المسلم على المسلم

وعيادة المريض تذكرة ومحبة ومنفعة ، فهى تذكر الإنسان

بنعمة الحياة ، وتعرفه قيمة الصحة التى يتمتع بها ، فينطلق لسانه بشكر

مسديها ، وهى تزرع المحبة بين المريض وعُوّاده ، بل بينهم وبين قرابته

وهى نافعة للمريض تروح عنه وتسليه ، وربما وصف العائد دواء

ذهب بالداء ، أو تبرع باحضار نطاسى ، أو أرشد إلى طبيب ماهر

وينبغى أن تكون العيادة فى الأوقات المعتادة ، وألا يطيل الجلوس

حتى يضجر المريض أو يشق على أهله ، مالم تدع ضرورة إلى ذلك

وأن يلاحظ أوامر الأطباء من ترك اقتراب أو مكالمة أو قلة الترداد

ثالثاً — فك العانى وتخليصه من أيدى العدو بمال أو غيره

والجمهور على وجوب ذلك كفائياً ، حتى لا تكون ذلة لمؤمن

كتب الله له العزة

١١ - آداب المجالسة

هى أن يجلس أمام النـاس بغاية الاعتدال والأدب ، والسكينة والوقار خصوصاً إذا كان الشخص الجالس أمامه أكبر سناً منه أو علماً أو إذا كان أباه أو شيخه أو معلمه ، وأن يبتعد فى جلوسه عمن هو أكبر منه سناً احتراماً لمقامه ، وأن يوسع لجليسه إذا أقبـل عليه ، ولا يضيق عليـه ، وألا يمد رجليه بين يدى جليسه ، ولا يضع رجلاً على الآخر بحضرة من هو أكبر منـه إن كان ذلك يغضبه ، ولا يبصق ولا يتمخط إلا فى منديل موارياً وجهه عن جليسه ، وإذا تثاءب فعليه ألاّ يصحب التثاؤب بصوت ، وعليه أن يضع يده على فمـه ، فإن مخالفة ذلك ممـا يستقذره الناس

وأن يكون مصغياً لجليسه، ولا يرفع صوته فوق صوته، وألا يضحك إلا لضرورة ، وألا يتكلم فى المجلس بكلام غير لائق بمقام الجالسين ، أو يقطع حديثهم ، وإذا جلس فى الطريق فليعط الطريق حقه ، وحق الطريق غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر وسيأتى شرحها

وقد بين الله تعالى فى كتابه الكريم هذه الآداب وأشار إليهـا بقوله :

« يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي ٱلْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ ٱللهُ لَكُمْ ، وَإِذَا قِيلَ ٱنْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » « المجادلة ١١ »

الشرح والتفسير

تفيد هذه الآية الكريمة بيان ما أدب الله به عباده المؤمنين ، وأمرهم به من حسن المعاملة ، ورعاية الأدب فى حق بعضهم على بعض

فمن ذلك أنه إذا كان جماعة فى مجلس وقدم عليهم آخر أو جماعة أخرى ، وفى المكان ضيق ،فعلى الجالسين أن يوسعوا للقادمين مسرعين فى ذلك ، لأن ذلك يكون سبباً للتوادد والتوافق والتحابّ ، ونبذ التباغض والتحاسد ، وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا)

وقد وعد جل شأنه من تأدب بهذا الأدب الكامل وتخلق بهذا الخلق الطيب ، أن يجازيه عليه من جنس عمله ، فيوسع عليه فى رزقه وقبره وفى منزله وفى الجنة ، وهو ما أفاده الله تعالى بقوله : (يفسح الله لكم)

هذا ما أمر الله به فى التوسعة فى المجلس

أما القيام منه للقادم كائناً من كان ، فهو جائز عند بعض العلماء

إذا كان لعظيم لقوله صلى الله عليه وسلم : (قوموا لسيدكم) ، وغير جائز عند البعض الآخر لقوله صلى الله عليه وسلم : (من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار) عن معاوية

فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يقومون للنبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم عليهم ، ولم يكن أحد أحب إليهم ولا أمكن هيبة فى قلوبهم منه ، وذلك لما كانوا يعلمون من كراهته لذلك

أما القادم نفسه فليس له أن يقيم أحداً من مجلسه ليجلس مكانه ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ولكن تفسحوا أو توسعوا)

ولما كان الغرض من التوسعة فى المجلس للقادم عليه غرس شجر المودة والمحبة فى قلوب المؤمنين ،ولا يكون ذلك إلا حيث كانت التوسعة مصحوبة بشيء من الحفاوة والاحتفال بأمره والاعتناء بشأنه، ومن ذلك أن ينهض مسرعاً فى التوسعة ، حث جل شأنه على النهوض بسرعة للقادم فقال :

(وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)

أى وإذا قيل لكم انهضوا للتوسعة فى المجلس للقادمين عليكم فانهضوا وأسرعوا فإنكم إن فعلتم ذلك يرفع الله الذين آمنوا منكم فى الدنيا والآخرة درجات عظيمة جزاء امتثالهم لأمر الله تعالى فى قيامهم

من مجالسهم وتوسعتهم لإخوانهم ، ويرفع الله الذين أوتوا العلم منهم خاصة درجات أعظم وأرفع لأنهم إنما يفعلون ما يؤمرون به عن بينة وقوة يقين فان لم تفعلوه بأن كرهتم أن تتأدبوا بآداب الله ، واستعظمتم أن توسعوا مجالسكم للقادمين عليكم حسبما أمركم ربكم ، فإن الله بما تعملون خبير ، لا تخفى عليه خافية من أعمالكم من خير أو شر فيجازيكم بالخير خيراً وبالشر شراً

حديث فى حقوق الطريق

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم :

(إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ ـ وَفِي رِوَايَةٍ بِالطُّرُقَاتِ ـ

قَالُوا : مَا لَنَا بُدٌّ ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا .

قَالَ : فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا

قَالُوا : وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ ؟ .

قَالَ : غَضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الْأَذَى ، وَرَدُّ السَّلَامِ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ)

« رواه البخارى ومسلم وأبو داود »

الشرح والتفسير

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبه عن الجلوس على الطرقات على المساطب أو الأرائك ، أو الكراسى ، أو على الأرض بجانب الحوائط مفروشة وغير مفروشة ؛ فقالوا للرسول صلى الله عليه وسلم : ما لنا بد منها ، ولا غنى لنا عنها ؛ لأنها مجتمعاتنا وأنديتنا التى نتحدث فيها بشئوننا ، ونتذاكر فى مصالحنا ، فى دنيانا وديننا ، ونروح عن نفوسنا ، ويسرّى بعضنا عن بعض مما ألم بنا ، فتركها يشق علينا ، وكأنهم فهموا أن النهى للتنزيه ، ولا يراد به التحريم ؛ لأنهم لم يعهدوا من الرسول صلى الله عليه وسلم تحريم نافع ، ولا إباحة ضار ، أو أن النهى لمعنى متصل بالمجالس لا لنفسها وذاتها ، وقد يكون فى إمكانهم مجانبة المعنى الذى من أجله كان النهى ، ولذلك راجعوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، ذاكرين أنها مجالس محادثة ومذاكرة ومؤانسة ومجاملة ، فلَمِ ينهون عنها ؟

ولو علموا أن النهى عزمة من العزمات ما راجعوه ، ولكانوا أول من يمتثل كما عهدناهم فى مواطن كثيرة يفهمون بمجرد الإشارة ، فما بالك بصريح العبارة

ولقد أجابهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما يدل على أن النهى ليس لذات المجالس ، وإنما هو من أجل حقوق الطريق التى يتعرض لها الجالس ، وقد يقصر فيها فيبوء بإثمها فقال لهم :

(فاذا أبيتم إلا المجالس) ورغبتم عن غيرها تجلسون فيها وتتسامرون (فأعطوا الطريق حقها)

فسألوه عن حقها ، شأنهم فى استبانة الغامض ، واستفصال المجمل فبين لهم حقوقها وهى :

أولها : غض البصر ، فإن أرسلته لتعرّف سائر ، أو للتمتع بمنظر فاتن من خضرة ناضرة ، ومياه جارية ، وسماء صافية ، وصور متحركة فلا ترسله إلى السيدات والفتيات المارات ، مشبعاً بجرائم الشهوة ، محملاً ببواعث الفتنة ، فإن ذلك الذى حرم القرآن بقوله :

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم »

وإذا كان النظر إليهن محرماً ، فما بالك بمن يلفظ بالهنات ، ويقول المفظعات ، ويرمى المحصنات الغافلات ؟ إن وزره لكبير ، وإثمه عند الله عظيم

وكما تحرم عليك النظرة المسمومة للسائرات ، كذلك تحرم للاتى يطللن من خدورهن ، ويبرزن من فتحات دورهن لقضاء مصلحة ، ولترويح نفس ضائقة ، كذلك لا ترسل البصر ساخراً بالناس ، أو حاسداً أو زارياً أو غاضباً ؛ بل كف عنه ، وأرسل منه ، فكفه عن الحرام ، وأرسله فى الحلال

ثانيها : كف الأذى ، فلا تؤذ سائراً بلسانك أو يدك ، فتشتمه أو

تسبه ، أو تنهال عليه ضرباً باليد أو بالعصا من غير ما جرم اجترمه ، ولا ذنب اقترفه، ومن الإيذاء سلبه شيئاً مما يحمله من غير أن تطيب به نفسه ، أو إراقة الماء فى طريقه حتى تزل به الأقدام ، أو وضع عقبات فى الطريق يعثر فيها المشاة ،أو إلقاء قاذورات أو أشواك تضر بالسابلة ، أوتضييقه الطريق بمجلسه ، أو قعوده حيث يتأذى الجيران ، فيكشف نساءهم ، ويقيد عليهم حريتهم ، كل ذلك وأضرابه مما يجب كفه ، والعمل على إبعاد المارة منه

ثالثها : رد السلام ، فان ذلك فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، وإنه رسول الألفة وداعية المحبة ، ولا تسأم كثرته من المارين ، فان كلاً يتحبب به إليك ويحييك ويكرمك ، أفلا تجيب التحية بمثلها أو خير منها ؟ أفلا تود من ودك ، وتكرم من أكرمك ؟ ذلك خلق كريم أفلا تكون كريماً؟

رابعها وخامسها : الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وإن ذلك لواجب مقدس للمسلم على أخيه المسلم ، فإذا رأيت عربة ذات حمل يجرها البهيم ، أو رأيت حيوانا محملاً فوق طاقته فانهَ عن هذا المنكر ومُر السائق بالتخفيف ، وإذا رأيت سائرين يتسابان أو يتقاتلان فمرهما بالكف ؛ وإذا رأيت شاباً يعاكس فتاة ويعترضها فى طريقها فانصح له بالاستقامة ، فإن أبى إلاَّ بالصفع أو بالأخذ إلى القسم فافعل ما استطعت

فى غير تهور ولا إضرار بك ؛ وإن رأيت من يبخس الكيل ويطفف الميزان فمره بالعدل أو سلمه إلى الشرطى ؛ وإن رأيت من يعبث بحديقة الجار أو ببعض حاجاته فَحُلْ بينه وبين العبث ؛ وإن رأيت من يبيع طعاماً عَفِناً ، أو شراباً آسناً فاضرب على يده ، إلى غير ذلك مما يقترفه المارة ، ويجترمه الباعة

هذا ، ومن حق الطريق أيضاً (فى روايات أخرى) : حسن الكلام وهداية الضال ، وتشميت العاطس إذا حمد ، وإغاثة الملهوف ، وإعانة المظلوم ، والمساعدة على الحمولة ، وذكر الله كثيراً

فتلك سبع إلى خمس ، وهاك شرحها :

أما حسن الكلام : فإن سألك طارق فى بعض شئون فأرهف له أذنك ، وأجبه بعبارة حشوها الأدب ، وأرشده بهوادة ولطف ، ولا تتلقه بالخشونة ومجاوبته بالفظاظة ، ولا ترفع من صوتك مع جلسائك ، ولا تهزأ ، ولا تقل هجراً ولا فحشاً ، ولا تهوش على جيرانك ، فتؤذيهم فى بيوتهم أو تقضّ مضاجعهم

أما هداية الضال : فمن استهداك الطريق فاهده ، ومن رأيته ضل الحجة فأقمه على صراطها ، وإن رأيت كفيفاً فخذ بيده أو وصله إلى مقصده

أما تشميت العاطس : فإذا حمد مولاه فقل له : يرحمك الله تدعوله بالرحمة والمغفرة ، فتجلب من وده ، وتزيد فى أنسه ، فتشميته الدعاء له وكل داع بخير فهو مشمت

أما إغاثة الملهوف : فمن استغاث بك فأغثه ،ومن إستجار بك فأجره ، بتفريج كربته وتخفيف بليته ، فإن كان مريضاً فأحضر له طبيباً يداويه أو يساعده على دخول مستشفى يطبيه ويراعيه ، وإن كان له مال ضائع فساعده على الوصول إليه ، وأعن العاجز على قضاء مآربه ، وتحقيق أمانيه

أما إعانة المظلوم : فأن تأخذ بيده حتى يصل إلى حقه ، وتمنع الحيف والجور عنه

أما إعانة الحمولة : فإن رأيت حيواناً زل بحمله ، أو فرساً عثر فى عدوه أو عربة انقلبت ، أو سيارة وقفت ، أو فرغ منها الوقود ، فخذ بيد الكابى حتى يرجع سيرته الأولى ، فإن زل إنسان حاملاً أو شاغراً فهو أولى بالمعونة

أما ذكر الله كثيرا : فيكون لك منه باعث على الخيرات، ومبغض فى السيئات ، ومرغب فى القيام بحق الطرقات

فتلك اثنتا عشرة خصلة هى حقوق الطريق التى يطالب بها كل جالس فيه

فيأيها الإنسان إذا آنست فى نفسك القيام بالواجبات فلا تجلس فى الطرقات ، ولا على المقهى ، أو أمام المسكن ، أو دون المتجر تستنشق الهواء ، وتستدفئ بالشمس ، أو ترتاد غير ذلك من المصالح ، وإن خشيت عدوان نفسك عليك، ومغالبتها لك ، وطغيان شهوتك على عقلك ، وشيطانك على ملكك ، فدعها إلى داخل منزلك ، أو إلى السير فى الهواء الطلق ، أو الجو الدافئ ، تسلم من المعاطب ، وتفز بطيب الرغائب

حديث فى أن الوحدة خيرٌ من جليس السوء

(اَلْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ اَلسُّوءِ ، وَاَلْجَلِيسُ اَلصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ اَلْوَحْدَةِ ، وَإِمْلَاءُ اَلْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ اَلسُّكُوتِ ، وَاَلسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْ إِمْلَاءِ اَلشَّرِّ) « عن أبى ذر رواه البيهقى »

الوحدة الانفراد بالنفس، والاعتكاف عن الناس

وجليس السوء هو الشرير الذى يزين الشهوات، أو يغتاب المخلوقات، أو يضيع الوقت بحديث الأضاليل والسفاسف والترهات

أما الجليس الصالح فهو الذى ينصح جليسه بالهدى والرشاد

أَحاديث أُخرى فى المجالس والجْلوس

☆ المجالس بالأمانة (عن على)

فعلى الجليس ألا يشيع حديث جليسه فيما يجب ستره

☆ مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك ، إما أن تشتريه أو تجد ريحه ، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة (عن أبى موسى)

هذا الحديث مشروح فى كتاب الأمثال القرآنية والنبوية للمؤلف

☆ إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فإن وسع له فليجلس ، وإلا فلينظر إلى أوسع مكان يراه فليجلس فيه (عن شيبة بن عثمان)

☆ إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم ، فإن بدا له أن يجلس فليجلس ، ثم إذا قام فليسلم ، فليست الأولى بأحق من الآخرة

(عن أبى هريرة)

☆ إذا جلستم فاخلعوا نعالكم تستريح أقدامكم (عن أنس)

☆ إذا قام الرجل من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به

(عن أبى هريرة)

☆ جالسوا الكبراء ، وسائلوا العلماء ، وخالطوا الحكماء

(عن أبى جحيفة)

(جالسوا الكبراء) الشيوخ المحترمين لتتأدبوا بآدابهم ، وتتخلقوا بأخلاقهم، أو من له رتبة فى الدين والعلم وإن صغر سنه

(وسائلوا العلماء) العاملين عما يعرض لكم من أحكام الدين

(وخالطوا الحكماء) أى اختلطوا بهم فى كل وقت فإنهم المصيبون فى أقوالهم وأفعالهم ، ففى اختلاطهم تهذيب للأخلاق

☼ كلمات لا يتكلم بهن أحد فى مجلسه عند فراغه ثلاث مرات إلا كفر بهن عنه ، ولا يقولهن فى مجلس خير أو مجلس ذكر إلا ختم الله بهن عليه كما يختم الخاتم على الصحيفة وهى :

سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك

« عن أبى هريرة »

☼ نهى أن يجلس الرجل بين رجلين إلا بإذنهما (عن ابن عمر)

١٢ - آداب المحادثة

اعلم أن أعصى الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤونة في تحريكه . ولذا ترى أغلب الخلق قد تساهل في الاحتراز عن آفاته وغوائله ، والحذر من مصائده وحبائله ؛ فأوردهم المهالك وجرهم إلى المصائب (وهل يكبّ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم)

فاللسان خطره عظيم، ولا نجاة من خطره إلا بإلجامه بلجام الشرع الشريف، ووقوف صاحبه به عند الحدود والآداب التي أدبه بها الشرع وعلمه إياها في محادثاته ومخاطباته ، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ، ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله ، وذلك بأن يعقله ، إلاّ عن حق يوضحه، أو باطل يدحضه ، أو حكمة ينشرها، أو نعمة يذكرها

وألاّ يتكلم به إلا بقدر الحاجة والضرورة ، وأن يقتصر في التكلم به على ما يقيم حجته ، ويبلغ حاجته ، وألاّ يغالب أحداً على كلامه

وإذا سئل غيره فلا يجيب عنه ، وإذا حدث بحديث فلا ينازعه ، ولا يقتحم عليه فيه ، ولا يريه أنه عالم ؛ وأن يكلم كل إنسان بما يليق به فلا يخاطب السوقة بكلام الملوك، ولا الملوك بكلام السوقة ، وألاّ يتكلم إلا إذا دعا داع إلى الكلام ، فإن ما لا داعي له هذيان ، وأن يجتنب في

محادثته ثلاثة أشياء، وهى أعظم الأشياء خطراً على الإنسان وأبغضها لله وأقبحها عند الناس وهى : الكذب ، والغيبة ، والنميمة

وألا يتجاوز فى مدح ، ولا يسرف فى ذم ، لأن السلامة من الكذب فى المدح والذم متعذرة ، وألا يتكلم إلا فيما يعنيه ، لأن من تكلم فيما لا يعنيه سمع مالا يرضيه

وأن يضع الكلام فى موضعه ، لأن لكل مقام مقالاً

وأن يجتنب فى حديثه كل ما يكدر مخاطبه ، وألا يرفع صوته فوق صوت من هو أكبر منه ، فإن ذلك كله مما ندب إليه الشرع ، وسلمه سليم الطبع

فإن لاحظ المتكلم فى حديثه هذه الاعتبارات السابقة، وألزم نفسه رعايتها فى كل أحواله كان ممن كملت سعادته ، وتحققت نجابته ، وعظم قدره ، وكثر فخره ، وانتشر ذكره ، وكمل عقله ، فإن عقل المرء مخبوء تحت لسانه ، بمصداق قوله صلى الله عليه وسلم :

(لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام رجع إلى قلبه ، فإذا كان له تكلم ، وإن كان عليه أمسك ، وقلب الجاهل من وراء لسانه يتكلم بكل ما يعرض له)

وقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى السبيل التى نسلكها لنتوصل منها إلى معرفة هذه الآداب الشرعية ، فأمر بغض الصوت عند التكلم وبأن نقول للناس حسناً ، وأمرنا بالإعراض عمن يتكلمون بمنكر حتى يخوضوا فى حديث غيره

ونهى عن الغيبة والنميمة والكذب ، وعن التكلم فيما لا يعنى ولا يفيد من القول إلى غير ذلك مما أمر به ونهى عنه

فمن ذلك ما أمر به جل شأنه من الملاطفة فى القول ، والمجاملة فى الحديث ، ومجانبة الخشونة فيه لما يترتب على ذلك من إيغار الصدور وتولد الاحقاد ، وغرس العداوة والبغضاء ، وهو قوله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم :

« وَقُلْ لِعِبَادِى يَقُولُوا ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ يَنزِغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِيناً » « الاسراء ٥٣ »

الشرح

ترشد هذه الآية الكريمة إلى ما علمنا الله إياه من حسن الأدب فى المحادثة والمخاطبة ، فقد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده المؤمنين أن يقولوا فى مخاطباتهم ومحاوراتهم ومحادثاتهم الكلمة الطيبة

والمراد الكلام الحسن الذى لا خشونة فيه ، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وألقى بينهم العداوة والبغضاء ؛ لأنه العدو الألد للإنسان ، يتربص به الدوائر ، ويترقب له الفرص فى حصول الشحناء بين أفراده

فالعاقل من لم يجعل للشيطان حظاً من قلبه حتى يملكه من غرضه

وينيله أمنيته ، ويحقق له رغبته ، وإلا كان قد أسلم نفسه لعدوه يفعل فيها كيف يشاء ، وهو لعمرى فعل غير حكيم

وفى النهى عن التكلم فيما لا يعنى ، والسؤال عما لا يعود على السائل منه أدنى فائدة ؛ بل ربما ساءه وأضر به ، قال تعالى:

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللهُ عَنْهَا وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ » « المائدة ١٠١ »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى بيان تأديب الله تعالى عباده المؤمنين وتعليمهم الأدب معه ومع رسوله صلى الله عليه وسلم وقت التشريع إذ نهاهم عن أن يسألوا عن تحريم مالم يحرم ، أو إيجاب مالم يجب من التكاليف التى تشتهى نفوسهم الوقوف عليها ، ولم ترد على لسان الشارع صلى الله عليه وسلم مع أنهم لو سألوا عنها كان سؤالهم ناشئاً عن استعداد فيهم لقبولها فتفرض عليهم موافاة لاستعدادهم ثم يضعفون بعد عن القيام بها فيحل بهم غضب الله وهذا ما يفيده قوله تعالى :

(وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم)

فأدب المرء بالنسبة لله سبحانه وتعالى هو أن يسكت عما ترك الله ذكره، لأنه جل شأنه هو العالم بالصالح، والمحيط علمه بكل شيء ولو علم أن في ذكر هذه الأشياء خيراً كثيراً لذكرها

وقد أفاد الله ذلك بقوله : (عفا الله عنها والله غفور حليم)

أي عفا الله عن هذه الأشياء بعدم ذكرها، فهو جل شأنه غفور حليم لا يعاجل من عصاه بالعقوبة لكثرة مغفرته وسعة حلمه

وفي الحث على التكلم مع الناس بالحسنى واللين والرفق ، ومجانبة الفظاظة في القول والغلظة في الحديث آخذاً العهود والمواثيق من بني إسرائيل على ذلك ، قال جل شأنه :

« وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا » « البقرة ٨٣ »

الشرح

بعد أن بين عز وجل ما أمر به بني إسرائيل وأوجب عليهم أن يؤدوه من الحقوق والآداب معه ومع عباده وأخذ عليهم العهود والمواثيق بذلك من عبادته سبحانه وتعالى ، وعدم الإشراك به، ومراعاة حقوق

الوالدين والبر بهما ، وحقوق ذوى القربى واليتامى والمساكين ، أمرهم بالإحسان بالقول مع سائر الناس ليجمع بين خيرى الإحسان الفعلى والقولى فقال : (وقولوا للناس حسنا) أى كلموهم كلاما طيباً عند محادثتكم لهم ، ومخاطباتكم إياهم ، وألينوا لهم جانباً ، وليكن حديثكم معهم هيناً ليناً وسطاً ، ليس بالغليظ المرتفع فيمج ، ولا بالمنخفض بحيث يكلف المستمع طلب إعادته ، ويدخل فى ذلك كل حسن من القول سواء كان أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر

وفى الحث على خفض الصوت عند المحادثة لأن فى رفعه تهويشاً على المستمع وأذى له ، قال جل ذكره :

« وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ »

« لقمان ١٩ »

الشرح

ترشد هذه الآية الكريمة إلى ما أوصى به لقمان عليه السلام ابنه من الوصايا النافعة ، وحثه عليه من الأدب فى المحادثة ، وأمره به من التلطف فى القول واللين فيه ، وعدم تكلف رفع الصوت به ، فإن الجهر بالصوت بأكثر من الحاجة يؤذى السامع ويضر به ؛ ولذا بلغ من القباحة والشناعة والبشاعة والكراهة أن يشبه رافعوه بالحمير ، وهو بصوت

الحمير ، ولا جرم فى أن تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهيق ، تنبيهاً على أن رفع الصوت غاية فى الكراهة، ونهاية فى القباحة

وقال عز وجل فى النهى عن الغيبة :

« وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ »

« الحجرات ١٢ »

الشرح

قال الله تعالى ذكره : (ولا يغتب بعضكم بعضاً) أى ولا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء فى غيبته

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال :

(أن تذكر أخاك بما يكره ، فإن كنت صادقاً اغتبته ، وإن كنت كاذباً فقد بهته)

أى نقصت من قدره ، وجئت بما هو غير حق من بهتان وزور

ثم مثل تعالى ما يناله المغتاب من عرض أخيه المؤمن فقال :

(أيحب أحدكم) أيها الناس (أن يأكل لحم أخيه) المؤمن حال كونه (ميتاً) بل لا ترضى نفوسكم أكله (فكرهتموه) أى فقد جبلتم على كراهته

ومن حيثُ كرهتم أكل لحم أخيكم المؤمن وهو ميت فاكرهوا الغيبة لأن عقوبتها أشد

فالواجب على كل مسلم ألا يسمع لمغتاب غيبة فى حق أحد وإن كان ما يقوله حقاً ولا يساعده ، وإن قصد بغيبته صدقاً ، فإن هذا يعد من سوء الأدب، ونقص الإيمان، وعدم المروءة ، لأن المغتاب إذا كان صادقاً فقد أظهر قبيحاً كان مستوراً ، وفضح سراً كان مكتوماً ، وإن كان كاذباً فقد ارتكب حرمتين : حرمة الكذب ، وحرمة الغيبة

ولو لم يكن فى الغيبة من المذام والقبائح إلا ما شبهها الله ، فى أكل لحم الإنسان الميت لكان ذلك كافياً فى ذمها وقبحها

وبعد أن نهى الله سبحانه وتعالى عن الغيبة ومثلها بأقبح مثال وأشنعه عقب ذلك بالأمر بالتقوى والترغيب فى التوبة فقال : (واتقوا الله) أى اخشوه وراقبوه فيما أمركم به ونهاكم عنه، وتوبوا إليه مما فرط منكم من غيبة أو نحوها

(إن الله تواب) أى كثير التوبة على من تاب إليه (رحيم) بمن رجع إليه لأنه يجعل التائب من الذنب كمن لا ذنب له

والتوبة فى الغيبة تكون بإقلاعه عنها، والعزم على ألاّ يعود اليها ، وأن يثنى على من اغتابه فى المجالس التى كان يذمه فيها حتى يذهب ما كان فى قلبه من الحقد والضغينة والبغض له ، ويبدله بالإخلاص والصفاء من جهته

وفى النهى عن النميمة، ونقل الحديث من قوم إلى آخرين على وجه السعاية والإفساد فيما بينهم، قال جل شأنه :

« وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ » « ن ١٠ و ١١ و ١٢ »

الشرح

يؤخذ من هذه الآيات حرمة صحبة من لا خلاق لهم من الناس ومجانبة المجالسة والمحادثة معهم، وعدم طاعتهم فى كل ما يقولون، وهم الذين بينهم الله تعالى فى قوله : (ولا تطع كل حلاف مهين، هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم) فهذه سبعة أوصاف كلها مثالب ومعايب نهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن طاعة المتصفين بها، وهو تعليم لنا وإرشاد لما يجب أن نتخلق به من الأخلاق الفاضلة والصفات الكاملة ونتركه من الأخلاق الفاسدة والصفات الكاسدة

فنهى الله عن طاعة الحلاَّف أى كثير الحلف سواء فى الحق أو فى الباطل لأنه قلما يتحرى الصدق فى أيمانه، فهو عرضة على الدوام للكذب والخطأ فيها مع ما له من الجراءة على الله تعالى وعلى أسمائه

فمثل هذا تجب مجانبته وتحرم مخالطته، ولذا جعله الله تعالى فاتحة المثالب ومقدمة المعايب

ونهى عن طاعة المهين، وهو حقير الرأى والتدبير، لأن طاعته ربما

أوردت المهالك ، وصيرت المطيع إلى أخبث المسالك ، لأنه يريد أن ينفع فيضر

فطاعة مثل هذا لا نتيجة لها سوى الضرر

أما الهماز، وهو العياب الطعان ، فلا تؤمن غوائله، فهو اليوم له وفى غد عليه ، مع أنه بطاعته يعد شريكاً له فى هذه المنقصة وهذه الرذيلة ،لأنه لا يعيب غيره ولا يطعن عليه إلا لخسة فى أصله،ونقص فى مروءته،ولؤم فى طبعه

أما المشاء بالنميمة، وهو النقال للحديث من قوم إلى آخرين، فلأنه يفسد بينهم ، لا همَّ له إلا الإيقاع بين الناس والإفساد بينهم ، وإلقاء بذور الشقاق والخصومات فيما بينهم ، وإيغار الصدور وتوليد الشرور، ومثل هذا تجب مجانبته، وتحرم طاعته، وتعاف مجالسته؛ لأن صحبته غرر، وطاعته ضرر، ومجالسته خطر، فكثيراً ما هلك وأهلك ، وأراق الدماء وسفك ، وما حمد أيما سلك

وإن المناع للخير، وهو البخيل الممسك يمنع أحوج ما يكون إليه صاحبه

ومثل هذا لا خير فى صحبته وطاعته، كما قال الشاعر :

من كان لا خير فيه يرتجى فإن عاش أو مات على حد سوا

وإن المعتدى، وهو المتجاوز الحد فى الظلم، لا يؤمن شره، ولا يؤمل خيره ، فهو أولى بالاجتناب ، وأحرى بنبذ طاعته سداً للباب

وإن الأثيم، وهو كثير الإثم والمعصية،لم يبال بالمجاهرة بمعصية خالقه ولم يخش من جلاله وعظمته ، فلا يبالى أن يجاهر صاحبه بأذيته وينابذه بعداوته . ومثل هذا يجب نبذ طاعته ، وتجنب مخاطبته

وفى النهى عن الكذب فى القول وقت المحادثة ، قال جل ثناؤه :

« قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ »

« يونس ٦٩ »

الشرح

ترشد هذه الآية الكريمة إلى قبح الكذب وذم فاعله ، وذلك بما أخبر الله تعالى به عن الكذابين من عدم الفلاح والنجاح ، وكفى بأى صفة ذماً أن تكون نتيجتها عدم الفلاح والنجاح

حديث فى فضل الصمت وقول الخير

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)

الشرح

سعادة المرء وشقاؤه فى طرف لسانه ، فإن حسن لسانه فى دائرة الخير ، كأمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، أو قراءة علم

أو منطق أدب نال خيره، وكفى شره، وإن خرج به عن دائرة الخير جلب له النوائب وأرداه فى هوة سحيقة، كما قال عليه الصلاة والسلام «وهل يكبُّ الناس على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»

وقد أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بأحد أمرين: إما قول الخير وإما الصمت، فمن لم يتيسر له الإحسان فى القول والنفع، فليمسك عليه لسانه، فإن ذلك أسلم له، وقد قال العلماء: إن هذه العبارة من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم؛ لأن القول كله إما خير وإما شر، وإما آيل إلى أحدهما، فدخل فى الخير كل مطلوب من الأقوال فرضها وندبها، فأذن فيه على اختلاف أنواعه، ودخل فيه ما يؤول إليه، وما عدا ذلك مما هو شر أو يؤول إلى الشر، فأمر عند إرادة الخوض فيه بالصمت

حديث فى النميمة وعقابها

عن حذيفة قال: سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول:

(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ ـ وَفِي رِوَايَةٍ ـ نَمَّامٌ)

«رواه الشيخان»

الشرح

قد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الجنة لا يدخلها قتَّات أى نمام؛ لأنها دار المتقين، وهذا من المجرمين، ما لم يكن له من الحسنات ما يمحو أثر السيئات

والمراد من هذا الحديث التحذير من القت ، والتنبيه إلى خطر النم فإذا جاء لك شخص يتم إليك فى حق أخيك فإياك أن تأخـذ قوله مسلماً، وترتب عليـه عداء وتخاصماً ،فإنه فاسق ، وقد أمرنا الله بالتثبت فى خبره ، والتحرى عن صدقه، فقال :

(يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)

بل إن كنت مؤمناً حقاً فلا تشغل نفسك بحديث النمام، ولا تضيع من وقتك فى تسمع أخبار السفهاء ، وظن الخير بإخوانك وأقربائك واتهم النمام المجهول ، بل قبح له سوء عمله، وبغض إليه نمه، وقل له :

لا تفسد بينى وبين إخوانى ، ولا تبغض إلى أعزائى ، وخير لك أن تذكر ما يزيد الصلة متانة، وعرا الإخاء وثاقة

وإن من ينقل عن غيرك إليك أحاديث السوء ينقل عنك إلى غيرك، فلا تجعله موضعاً لثقتك واجعل وشايته دبر أذنك

واعلم أن نقل الأخبار قد تكون فيه مصلحة شرعية ومنفعة عامة كمن ينقل إلى شخص مكيدة يدبرها له الخصوم من قتـل أو سرقة ، وكمن يعرف الأئمة والملوك سير الحـكام الظالمين والموظفين الخائنين ، فهذا لا حرج فيـه ؛ بل ذلك واجب حقناً للدماء ، وحفظاً للأموال ونصحاً للرعية والولاة ، فإن الدين النصيحة

وقال صلى الله عليه وسلم : أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقاً الموطأون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم على الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الإخوان ، الملتمسون للبرآء العثرات

وقال الحسن رضى الله عنه : من نمَّ إليك نمَّ عليك ، ومعنى هذا أن النمام ينبغى أن يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته ، وكيف لا ؟ وهو لا ينفك عن الغدر والخيانة والإفساد بين الناس ؟ وهذا من آفات اللسان التى يجب على المسلم أن يحذر منها ، ويأخذ نفسه ولسانه على الحق والصدق، ومحبة الناس والعمل لخيرهم ، والبعد عما يضرهم ويسىء إليهم

حديث فى مدح الصدق وذم الكذب

وأثرهما فى المجتمع الإنسانى

عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ ٱلصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى ٱلْبِرِّ ، وَإِنَّ ٱلْبِرَّ يَهْدِى إِلَى ٱلْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ ٱلرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى ٱلصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ ٱللهِ صِدِّيقاً ، وَإِيَّاكُمْ وَٱلْكَذِبَ فَإِنَّ ٱلْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى ٱلْفُجُورِ ، وَإِنَّ ٱلْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى ٱلنَّارِ ، وَمَا يَزَالُ ٱلرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى ٱلْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ ٱللهِ كَذَّاباً)

عن ابن مسعود « رواه البخارى ومسلم »

الشرح

الصدق فضيلة الفضائل ، وأس الخلائق ، يقوم عليه نظام المجتمع وترتيب الأمور ، وسيرها السير الحميد ، وإنه ليعلى صاحبه عند الناس جميعاً فيجعله موضع ثقتهم ، مرغوب الحديث عندهم ، محبوباً لهم ، محترم الكلمة عند حكامهم ، مقبول الشهادة عند قضاتهم

لهذا أمرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما أمرنا به الله تعالى فى قوله :

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »

والصدق يكون فى القول ، وفى العقيدة ، وفى العمل

فالصدق فى القول أن يكون مطابقاً لضميرك أو وفق الحقيقة ، أو وفقهما معاً ، وهذا يدعوك إلى التثبت فى الحديث ، والتحرى قبله ، وألا تقول بغير علم ، فإذا حدثت عن الماضى فقل الحق ، وإذا حدثت بما نويته فاجعل حديثك طبق نيتك ، وإذا وعدت فاجعل نية الوفاء قرينة العزم ، ولا تستفهم عن أمر وأنت به عليم لتغرر بالسامعين ، لحاجة فى نفسك ، ولا تطلب من خادمك طلباً وقد أشرت إليه بعدم الإجابة أو نبهته إلى ذلك من قبل

والصدق فى العقيدة أن تكون طبق الحاصل فى الوجود ، ففى الوجود (إله واحد فعال) يحكم ما يريد ، ويبدئ ويعيد ، فلا تعتقد له فى ذلك نداً وشريكاً

وفى الوجود (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) فاعتقد رسالته ؛ وفى الوجود ظلم أمته أو عدالتها فاعتقد ما شهد به الوجود وهكذا

والصدق فى العقيدة يستدعى أولاً بحثها ، وطلب الدليل عليها من الحسيات أو العقليات ونفى الشبهات عنها

والصدق فى الفعل أن يكون مظهره فى الخارج طبق صورته فى النفس ، فيكون خالصاً لله تبغى به المصلحة ، لا يشوبه نفاق ولا رياء ، ولا تريد الوصول به إلى غرض دنىء ، كالذى يزور عظيماً ، مظهراً تودده إليه ، ومحبته له ، وهو يريد من وراء ذلك منفعة شخصية ، وكالذى يجاهد مداراةً ومجاراةً ، أو طمعاً فى مركز أو جاه . فكل ما تقدم يشمله عنوان الصدق

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يهدى إلى البر ، ويرشد إلى التوسع فى الخير ، ذلك أنه منبت الفضائل ، وجذع شجرتها ومتفرع غصونها ، وهل الإيمان بالله ، والتصديق برسله ووحيه ، إلا شعبة من الصدق ؟

فالصادق موفق للخيرات ، مقيم للمبرات ، والبر طريق الجنة بل مفتاحها الذى لا تفتح بغيره

قال تعالى (إن الأبرار لفى نعيم — إلى آخر الآية)

وقد بين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث المذكور مسألة من أهم مسائل الأخلاق ، وهى طريقة تربية الخلق وتكوينه

وتقويته فى النفس وتثبيته ، وجعله فى صف الطبائع ، ذلك أن يتحرى الإنسان فى حديثه القول الجميل أو الصنع المجيد ، ويعمله المرة بعد المرة حتى يؤثر فى نفسه أثراً ، ويتخذ منها مجرى ، يزداد تعمقاً كلما تابع العمل ، فإذا بذلك الأثر الخلق والفضيلة التى تصدر عنها الأعمال الطيبة بسهولة

فمن رغب أن يكون الصدق شيمته وخلقه ، وديدنه وطبعه ، فليتحر الصدق فى أقواله وأعماله ، وليتابع ذلك ، فإذا بالصدق خلقه ، وإذا به الصدِّيق

ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا)

أى ضبط ذلك فى سجله وحسبانه فى زمرة الصديقين ، وإعلان ذلك فى الملأ الأعلى ، فرحاً به ورفعاً لذكره ، والوحى إلى قلوب العباد بذلك ليحترموه ويجلوه ، ويوقروه ويكبروه

وكما أن الصدق أس الفضائل ، فإن الكذب أس الرذائل ، به يتصدع بنيان المجتمع ، ويختل سير الأمور ، ويسقط صاحبه من العيون ، لا يصدقونه فى قول ، ولا يتبعونه فى عمل ، ولا يحبون له مجلساً ؛ أحاديثه منبوذة ، وشهادته مردودة ، لذلك نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديثه المذكور . وفى القرآن الكريم آيات كثيرة مقبحة للكذب ، منفرة منه ، متوعدة عليه بالعذاب الشديد ، قال تعالى :

« ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام

لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم »

والكذب يكون فى القول، وفى العقيدة ، والعمل

فقول ما لا يطابق الضمير أو الواقع أو هما معاً ، أو لا يؤدى إلى ذلك كذب ، واعتقاد ما لا يساير الوجود كذب ، والرياء فى الأعمال وإلباسها غير لباسها النفسى كذب

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الكذب يهدى إلى الفجور ، و يبعث إلى الشرور ، ويهتك ستر الديانة ، فإذا بصاحبه مرتطم فى المعاصى ، متهالك عليها

وهل الشرك واتخاذ الند الذى هو أكبر جريمة إلاّ كذب ؟

وهل النفاق الذى هو شر من الكفر الصريح إلاّ كذب ؟

و كذلك الغش فى المعاملة ، ونية الإخلاف فى المواعيد ، والمروءآة فى الأعمال كلها من ضروب الكذب

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الفجور يهدى إلى النار ، ويرمى بصاحبه فى دركها الأسفل لقوله تعالى : (وإن الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين)

وكما أن الأعمال الحميدة بتحريها وتعودها تتكون الأخلاق العالية التى هى مصدر الخيرات ، كذلك الأعمال السيئة إذا تحراها الإنسان

وتعودها كونت فى نفسه الأخلاق السيئة ، التى هى مصدر الشرور والآثام ، فمن سمح لنفسه بكذبة مرة وأتبعها بأخرى ، وعززها بثالثة فرابعة وهكذا أصبح الكذب خلقاً له ، وصار الكذاب المهين ، فلتجتنبها نفسك لئلا تصبح خلقك أو طبعك ، ودع المحارم ، وإن وقعت فى شىء منها فبادر إلى التوبة ، وحذار العود والتكرار فتكون من الهالكين

ومعنى قوله عليه السلام : (ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)

أى تدوين ذلك فى صحيفته السوداء، وحسبانه من حزب الكاذبين المنافقين والتشهير به فى الملأ الأعلى ، وإلهام النفوس أن تمجه وتحتقره وتزدريه وتمقته ، فإذا به بين الناس الطريد المهين ، الكريه البغيض

فالتزم أيها الإنسان نهج الصدق لتكون الصديق ذا المكانة العالية بين الناس ، والدرجة الرفيعة عند الله

ولا تَغشَ الكذب حتى لا تكون الفاجر الأثيم ، والكذاب المهين واجعل صفحتك بيضاء نقية ، ومكانتك فى المقربين علية

ولقد صدق الشاعر فى قوله :

وأكرم الآداب صدق المنطق	أكرم به أكرم به من خلق
أعدل شاهد على الصلاح	أقرب منهاج إلى الفلاح

تنبيه : أنظر آداب المحادثة فى كتاب التربية الاجتماعية للمؤلف من ص ١١٠ الى ١٢١

الأَحاديث

حديث فى النهى عن التحدث بكل ما يسمع

(كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)

« عن أبى هريرة »

المعنى

إذا لم يكن للمرء من الآثام والذنوب إلا أن يحدث الناس بكل ما يسمع من خير أو شر، عن صدق أو كذب، كفاه إثم ذلك عذاباً، لأن نقل الحديث قد يكون فيه ما يؤذى ويضر، فكتمانه إذن أمر يوجبه الدين وتقتضيه المروءة

حديث فى خيانة التحدث

(كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثاً هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ) « عن سفيان بن أُسيد رواه أبو داود »

المعنى

الصدق أمانة للناس فى عنق المحدث، فيالها من خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق، أى مطمئن إلى صدقك فيه، وأنت له به كاذب، أى مخبر بخلاف ما هو واقع

حديث فى حبس اللسان عن كثرة الكلام

(لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَخْزُنَ مِنْ لِسَانِهِ)

« عن أنس »

أى يجعل فمه خزانة للسان فلا يفتحه إلا بمفتاح إذن الله

حديث فى عدم التكلم فيما لا يعنى

(أَكْثَرُ النَّاسِ ذُنُوباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ كَلَاماً فِيمَا لَا يَعْنِيهِ) « عن سلمان الفارسى »

أى أن من كثر كلامه كثر شططه، فتكثر ذنوبه وخطاياه من حيث لا يشعر . وفى حديث آخر : من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه « عن أبى هريرة »

حديث فى صفة المؤمن

(لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ الْبَذِىءِ)

أى أن المؤمن لا يطعن فى حق النـاس وأعراضهم، ولا يلعنهم ولا يتكلم معهم بكلام فاحش بذىء

١٣ - آداب الأكل والشرب

إن للأكل والشرب آداباً يجب مراعاتها لحفظ الصحة من جهة والدلالة على كرم الخلق وحسن الطبع من جهة أخرى ، وهذه الآداب مستمدة من نور القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول عليه الصلاة وأزكى التسليم

قال تعالى فى النهى عن كثرة الأكل والشرب والإسراف فيهما وبغضه لذلك :

« وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ »

« الاعراف ٣١ »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى ماعلمنا الله إياه من الطب ، و ما أرشدنا إليه من الحكمة ، وهدانا إليه مما تصح به أبداننا ، وتقوى به أجسامنا وتطيب به معيشتنا ، وتهنأ به حياتنا ، من عدم الافراط فى الأكل والشرب ، والإسراف فيهما ؛ لأن كثرة الأكل والشرب تفسد المعدة وتطفئ نارها ، وتضعف الجسم ، وتكثر الرياح فى البطن ، وتصفر اللون ، وتضيق النفس ، وبذلك يضعف الفكر ، ويخمد الذهن ، وينحط الإدراك . وإذا حجب القلب عن الإدراك ، ومنع الذهن عن الحركة فى الأفكار خسر صاحبه باباً كبيراً من العبادات ؛ لأن الغاية المقصودة من

العبادات إنما هو الفكر الموصل إلى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق وكثرة الأكل مانعة منه

فلهذه المضار نهى الشارع الحكيم عن الإفراط فى الأكل والشرب ؛ والإسراف فيهما ؛ ولم يقف عند هذا الحد من النهى ؛ بل أخذ يتوعد ويهدد من خالف أمر الله تعالى فأسرف فيهما فقال :

(إنه لا يحب المسرفين) أى يبغضهم ،وناهيك ببغض الله تعالى وعدم رضاه ، فإنه داعية الهلاك ، وسبب كل المصائب

وأى عاقل يجرؤ على أن يغضب الله تعالى مقابل أن يرضى نفسه باتباعها فى شهوة هى سبب هلاكه ، وداعية أسقامه وآلامه ؟

فالحذر الحذر من شراهة النفس ، وتمكنها من شهوتها المفرطة فى الأطعمة والأشربة، محافظةً على صحة الإنسان ، وحذراً من أن يكون قتيل بطنته، وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم :

(البطنة أصل الداء) أى امتلاء البطن (والحمية أصل الدواء) أى المحافظة على عدم تكليف المعدة بما ليس فى طاقتها

وقوله صلى الله عليه وسلم : (ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ،فإن كان ولابد فثلث للطعام، وثلث للماء، وثلث للنفس) وسيأتى شرح هذا الحديث

وقول بعض الحكماء : البطنة تذهب الفطنة وتجلب الداء العضال

وقول أفلاطون : راحة الجسم فى قلة الطعام ، وراحة اللسان فى قلة

الكلام ، وراحة الروح فى قلة المنام ، وراحة القلب فى قلة الانتقام ، وراحة العقل فى قلة الأوهام

ومن الأمثال : أقلل طعامك تحمد منامك

فيجب إذاً على كل عاقل أن يقتصر فى تناول الأطعمة والأشربة على قدر ما يلزم لجسمه من الصحة التى بها القيام بما كلف به من التكاليف الشرعية

وقد بين الله تعالى ما أحل أكله من الطعام ، وهو الحلال الطيب الطاهر ، وما حرم أكله منه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، وما أباح تناوله مع كونه محرماً للضرورة والاحتياج إليه مع عدم وجود غيره ، فقال تعالى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلّٰهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّٰهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » « الْبقرة ١٧٣ »

الشرح والتفسير

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان إلى ما بينه الله تعالى لعباده المؤمنين

وأمرهم به من الأكل مما رزقهم، على شرط أن يكون حلالاً طيباً، وأمرهم أن يشكروه على هدايتهم لذلك، وتبيينه لهم معالم دينهم، وإرشادهم إلى ما يحل أكله، وما لا يحل، لأن ذلك من المنن العظمى، والنعم الكبرى، التى يجب الشكر لمسديها إن كانوا عبيده حقاً، وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون)

ولما امتن الله تعالى عليهم برزقه، وأرشدهم إلى الأكل من طيبه ذكر أنه لم يحرم عليهم من ذلك إلا (الميتة) وهى التى تموت من غير تذكية شرعية سواء أكان موتها بخنق أم بضرب أم بسقوطها من أعلى إلى أسفل أم بنطح أخرى لها أم عدوان سبع عليها

وقد خصص هذا العموم بغير ميتة البحر بقوله تعالى فى آية أخرى (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم)

(والدم) والمراد به الدم المسفوح لقوله تعالى فى آية أخرى :

(قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحاً أو لحم خنزير)

(ولحم الخنزير) سواء أذكى أم لم يذك

(وما أهل به لغير الله) أى ذكر عليه اسم غير الله تعالى

معنى الإهلال لغير الله أن يذبح الحيوان أو ينحر مع ذكر اسم

غير الله عليه ؛ بأن يقال نذبح باسم الميت أو الولى أو الشيخ فلان ، وهذا لم يفعله بحمد الله أحد حتى يقال « عمت به البلوى » وإنما المذموم اتخاذ الصدقات بتلك الصورة ، فلحوم هذه الذبائح مع ذكر اسم الله عليها لا يحرمها مسلم

ومثله ما يقع من بعض الجهلاء من الذبح عند قبور موتاهم عند دفنهم فإن ذلك يحرم أكله ، ولا يجوز تعاطيه ؛ لأنه مما أهل به لغير الله ، ولا فرق بينه وبين المذبوح للوثن ، ومثله ما ينذرونه للمشايخ والأولياء والصالحين فيذبحونه لهم فإن ذلك المذبوح حرام لا يجوز أكله لأنه أهلَّ به لغير الله ، حتى قال بعض العلماء : أن الذبح لهؤلاء وأمثالهم كفر ، وهو مما عمت به البلوى ، وعظمت به المصيبة ، لأن عامة الناس فى ذلك واقعون ، ولحله وجوازه معتقدون ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

هذا وبعد أن بين جل شأنه أكل هذه الأربعة ، وأنه حرام أخذ يبين أن ذلك مقيد بعدم الضرورة والحاجة

أما عند الضرورة والحاجة بها بأن خاف التلف على نفسه ولم يجد ما يسد رمقه غير أحد هذه الأربعة فلا حرج فى ذلك ولا إثم على فاعله قال تعالى : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) .

أى فمن اضطرته الحاجة إلى أكل واحد من هذه الأربعة التى

حرمها الله تعالى فلا إثم عليه ولا حرج فى أكله بشرط ألا يحمله على أكله إلا الضرورة لا الشهوة وهو معنى (بلغ) وألا يتناول منه إلا مايدفع به الضرورة، ومتناول مافوقها هو العادى، فإنه جل شأنه غفور لمن تاب إليه من عباده ، رحيم بهم من حيث أحل لهم الحرام عند الاضطرار، والله بسر كلامه عليم

وقال تبارك وتعالى فى ايضاح ما أباح الأكل فيه من بيوت الأقرباء والأصدقاء والبيوت التى يملك التصرف فيها بإذن من أربابها مجتمعين فى الأكل أو منفردين :

« لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً »

« النور ٦١ »

الشرح والتفسير

تفيد هذه الآية الكريمة نفى الحرج والضيق عن الأعمى والأعرج

والمريض فى مؤاكلة غيرهم من الأصحاب الذين ليس بهم عاهة

وتفيد أيضاً أن لاحرج على الناس من أن يأكلوا من بيوت أقاربهم (كآبائهم وأمهاتهم واخوانهم وأخواتهم وأعمامهم وعماتهم وأخوالهم وخالاتهم) أو البيوت التى يملكون التصرف فيها بإذن من أصحابها، كالوكلاء والخزان فإنهم يملكون التصرف فى بيوت من أذن لهم بدخول بيته وأعطاهم مفتاحه ، أو بيوت الأصدقاء والأصحاب والأحباء فلا جناح فى الأكل منها على شرط أن يعلم أن ذلك لا يشق عليهم ولا يكرهونه

ثم أشار جل شأنه إلى بيان حكم آخر ، وهو جواز أكل الإنسان منفرداً أو معه غيره فقال :

(ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) أى مجتمعين أو منفردين

ثم أن الله تعالى بين أنواع المحرمات فى آية أخرى فقال :

« حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِٱلْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ . ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » « المائدة ٣ »

الشرح والتفسير

(حرمت عليكم) أيها المؤمنون (الميتة) وهى الحيوان الذى فارقته الروح من غير ذبح شرعى ، ثم قالت العقلاء : إن الحكمة فى تحريم الميتة هى أن الدم جوهر لطيف ، فإذا مات الحيوان من غير ذبح احتبس الدم فى عروقه وتعفن فيحصل من أكله مضار كثيرة

(والدم) أى وحرم عليكم أيها المؤمنون أكل الدم المسفوح أى السائل، وأما الجامد وهو الكبد والطحال فإنه يحل

(ولحم الخنزير) أى وحرم عليكم لحم الخنزير لأنه مضر بالصحة لاحتوائه على ديدان خطرة مضرة

(وما أهل به لغير الله) وسبق الكلام عليها

(والمنخنقة) أى وحرم عليكم الميتة التى ماتت بالخنق ، وقد كانوا فى الجاهلية يخنقون الشاة فإذا ماتت أكلوها ، وقد تخنق بحبل الصائد وقد تدخل رأسها بين غصنين فى شجرة فتخنق فتموت . فالميتة بالخنق إذا ماتت بأى وجه من وجوه الخنق فهى حرام باتفاق الأئمة

(والموقوذة) أى وحرم عليكم أكل الموقوذة وهى التى قتلت بالضرب بالخشب ونحوه ويدخل فيها الحيوان الذي رمى ببندق الرصاص فمات لأنه مات ولم يسل دمه فحكمه فى التحريم حكم المنخنقة والموقوذة

فإن كان وحشاً يصاد بأى جرح يدميه مع ذكر اسم الله عليه ، فيموت قبل أن يذبح كان حلالاً

(والمتردية) أى وحرم عليكم أكل المتردية ، وهى التى ترددت ، أى وقعت من علو إلى أسفل ، أو وقعت فى بئر فماتت

(والنطيحة) أى وحرم عليكم النطيحة ، وهى التى نطحتها بهيمة أخرى فماتت بهذا السبب

ولا يخفى أن هذه الأقسام الأربعة داخلة فى الميتة دخول الخاص فى العام ، وإنما أفردت بالذكر لمزيد البيان

(وما أكل السبع) أى الحيوان الذى أكل منه السبع فمات ، والمراد بالسبع كل ما له ناب أو مخلب قوى يعدو على الإنسان ويفترس الحيوان كالأسد وما دونه ، والنسر وما دونه

وفى هذا دليل على أن جوارح الصيد إذا أكلت مما صادته لم يحل أكله (إلا ما ذكيتم) أى إلا ما أدركتم ذكاته وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب المذبوح ، بأن وجدتم له ذنباً يتحرك ، أو رجلاً تضطرب فذبحتموه فهو حلال ، لأن ذلك دليل على وجود الحياة مستقرة فيه

(وما ذبح على النصب) أى وحرم أكل الحيوان الذى ذبح على النصب ، وهى أحجار كانت منصوبة حول الكعبة ، وكان أهل الجاهلية يذبحون عليها الذبائح ويعدون ذلك تقرباً منهم فنهاهم الله عن ذلك

(وأن تستقسموا بالأزلام) أى وحرم عليكم أن تطلبوا ما قسم لكم

من خير أو شر بالأزلام ، أى بالأقداح ، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا أراد أحدهم شعراً أو تجارة أو نكاحاً أو أى أمر من الأمور العظيمة ضرب القداح ، وكانوا قد كتبوا على بعضها أمرنى ربى ، وعلى بعضها نهانى ربى ، وتركوا بعضها خالياً عن الكتابة

فإن خرج القدح الذى كتب عليه الأمر أقدم على الفعل ، وإن خرج القدح الذى كتب عليه النهى أمسك عنه ، وإن خرج الخالى عن الكتابة أعاد العمل ثانياً

وإنما حرم الله عليهم طلب معرفة ما قسم لهم من خير أو شر بالأقداح لأنهم كانوا يضربونها عند أصنامهم ويعتقدون أن ما خرج لهم من الأمر أو النهى إنما هو بإرشاد الأصنام وإعانتها

وأما إذا طلب الإنسان ظن ما قسم له من خير أو شر بالأمارات المتعارفة فهو غير منهى عنه ، وذلك كتعبير الرؤيا ، وكما يحصل من أصحاب الكرامات وأهل الفراسة ، ونحو ذلك من الأمور التى جربت فى معرفة عواقب الأمور العظيمة على طريق الظن ، فإن هذا كله جائز ولا يحرم شىء منه أصلاً

(ذلكم فسق) أى ذلكم الذى ذكر من المحرمات تناوله فسق ، أى تمرد وعصيان ، ودخول فى علم الغيب الذى لا يختص به إلا الله سبحانه وتعالى

(اليومَ يئس الذين كفروا من دينكم) أى من إبطال دينكم وصرفكم عنه بسبب تحريم هذه الخبائث

والمراد بهذا اليوم هو اليوم الذى نزلت فيه هذه الآية الكريمة ، وكان نزولها بعد عصر الجمعة يوم عرفة فى حجة الوداع ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم واقفاً بعرفات راكباً على ناقته العضباء ، فكادت عضدها أن تندق لثقل الوحى عليها ، فلما اشتد بها الثقل بركت

ويجوز أن يكون معنى قوله تعالى : (اليومَ يئس الذين كفروا من دينكم) أى من أن يغلبوكم على دينكم ، لما شاهدوه من أن الله عزوجل وفى لكم بوعده ، من حيث أظهره على الدين كله

وهذا التفسير أنسب لقوله تعالى : (فلا تخشوهم) أى فلا تخافوا من أن يظهروا عليكم (واخشون) أى وأخلصوا إلىّ الخشية ، فإن كيدى متين ، ولا يكون تمام الخشية إلىّ إلا إذا انتهيتم عن هذه النواهى وتخلصتم من تلك الدواهى ، فحينئذ يعود ليلكم نهاراً ، وتصير ظلمتكم أنواراً

(اليومَ أكملت لكم دينكم) أى أكملت لكم ما تحتاجون إليه فى تكاليفكم من تعليم الحلال والحرام ، وقوانين القياس وأصول الاجتهاد (وأتممت عليكم نعمتى) بذلك الإكمال ، فإنه لا نعمة أتم من الهداية والتوفيق

(ورضيت) أى واخترت (لكم الإسلام ديناً) من بين جميع الأديان ، وهو الدين الحقيقى المرضى عند الله تعالى ، وغيره بعد ظهور هذا الدين باطل

(فمن اضطر) أى فمن ألجأته الضرورة إلى تناول شئ من هذه

المحرمات (فى مخمصة) أى فى مجاعة يخاف معها الموت ، أو مباديه وأشباهه فتناوله (غير متجانف لإثم) أى غير مائل ومنحرف إلى إثم بأن يأكل هذه المحرمات تلذذاً ، أو بأن يأكل منها فوق الشبع ، أو يستعين بأكلها على فعل معصية

(فإن الله غفور رحيم) لا يؤاخذه بذلك

لما نزلت آية التحريم السابقة جاء بعض الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يارسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة (الصقور) وإنها تصطاد لنا الدواب الوحشية المأكولة ، فتارةً ندرك ما تصطاده لنا حياً فنذبحه ، وتارةً نقتله ولا ندركه إلا ميتاً ، وقد حرم الله علينا أكل الميتة ، فماذا يحل لنا من صيد تلك الكلاب والطيور ؟

فسكت النبى صلى الله عليه وسلم عن الجواب حتى أنزل الله تعالى عليه هذه الآية :

« يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ » « المائدة »

الشرح والتفسير

يقول الله تعالى ذكره : (يسألونك) أى يسألك بعض أصحابك يامحمد (ماذا أحل لهم) أى شىء أحله الله لهم من المطاعم (قل) لهم (أحل لكم الطيبات) أى ما ليس خبيثاً منها، وهو الذى لم يأت تحريمه فى كتاب ولا سنة

ومن الطيبات أيضاً كل ما كان نظيفاً لذيذاً يشتهى عند أهل الطباع السليمة، والأخلاق الحميدة

ثم إن الأصل فى الأشياء كلها هو الحل ؛ لأن الله تعالى خلقها لمنافع العباد ، ثم جاء الشرع بتحريم بعض الأشياء كالميتة والدم وجميع الحيوانات التى لا يحل أكلها . ثم إنه لا يعرف الطيب من المطاعم وخبيثها جميع طبقات الناس ، لأنهم مختلفون فى الطبيعة حتى ان بعضهم يشتهى ما كان خبيثاً وحراماً بنص الكتاب والسنة ، وإنما يعرف ذلك من كان من العرب المترهفة ، وغيرهم من ذوى الفطر السليمة

(وما علمتم من الجوارح) أى أحل لكم أيضاً صيد الذى علمتموه الصيد من الحيوانات التى تجرح ما تصيده ، كالكلب والفهد والطيور ونحوها حال كونكم (مكلبين) أى مؤدبين ومعلمين لهن (تعلموهن) لأجل الاصطياد (مما علمكم الله) من الحيل المناسبة للصيد (فكلوا مما أمسكن عليكم) أى كلوا من الذى حفظنه لكم بعد الصيد ولم يأكلن منه ولو أدركتموه ميتاً (واذكروا اسم الله عليه) أى وسموا الله على

ما وجدتموه حياً وأردتم ذبحه ، وسموه أيضاً عند إرسال الحيوان المعلم لطلب الصيد (واتقوا الله) أى اجتنبوا ما حرمه عليكم (إن الله سريع الحساب) فيحاسبكم على ارتكابها

(اليومَ أحل لكم الطيبات) تقدم بيانه

(وطعام الذين أوتوا الكتاب) أى ذبائح الذين أعطوا الكتاب من التوراة والانجيل (حل لكم) أى يحل لكم أكله فقط دون ذبائح غيرهم من أهل الشرك الذين ليس لهم كتاب من مشركى العرب والمجوس وعبدة الأصنام والأوثان فإنه يحرم عليكم أكل ذبائحهم

(وطعامكم) أيها المؤمنون (حل لهم) أى يحل لكم أن تطعموهم منه

وقد بين الله تعالى أن الاكل مما لم يذكر اسم الله عليه هو فسق فقال تعالى :

« وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ » « الأنعام »

الشرح والتفسير

أى لا تأكلوا أيها المؤمنون مما مات ، فلم تذبحوه أنتم ، أو يذبحه موحد بدين الله بشرائع شرعها له فى كتاب منزل ، فإنه حرام عليكم لأنه لم يذكر اسم الله عليه ، وإن الشياطين يوحون إلى أوليائهم ، أى

نصرائهم ، ليجادلوا المؤمنين فى تحريمهم أكل الميتة، وإذا أطعمتموهم أيها المؤمنون فى أكل ما نهيتكم عنه فقد صرتم مثلهم مشركين

أما الذى يذبح ويذكر اسم الله عليه فهو حلال أكله لقوله تعالى :

« فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ »

« الأنعام »

أى كلوا أيها المؤمنون مما ذكيتم من ذبائحكم، وذبحتموه الذبح الذى يثبت لكم أنه يحل به الذبيحة ، وذلك ما ذبحه المؤمنون من أهل دينكم دين الحق ، أو ذبحه من دان بتوحيد الله من أهل الكتاب دون ما ذبحه أهل الأوثان ، ومن لا كتاب له من أهل المجوس ؛ إن كنتم بآيات الله مؤمنين ، أى إن كنتم بحجج الله التى أتتكم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وإعلامه بإحلاله ما أحللت لكم ، وتحريم ما حرمته عليكم من المطاعم والمآكل مصدقين ، ودعوا عنكم ما توحيه الشياطين بعضها إلى بعض من زخرف القول وتلبيس دينكم عليكم غروراً

ثم يقول الله تعالى :

« وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ » « الأنعام »

أى شىء يمنعكم من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، وإباحة كل ما ذبح بدينه أو دين من كان يدين ببعض شرائع كتبه المعروفة ، وقد

فصلت لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وبينته لكم، إلا ما اضطررتم إليه من المطاعم المحرمة فى حال الضرورة فهو حلال حتى تزول الضرورة

الأَحاديث

١ — حديث فى الأكل بغير إسراف

(كُلُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ)

« عن ابن عمرو »

المعنى

تمتعوا بألوان الطعام ، ومتعوا الفقراء بالصدقات ، ومتعوا أنفسكم بالملابس فى غير إسراف ، أى بذخ وتفريط ، ولا مخيلة (أى عجب وتيه)

٢ — حديث فى القصد فى الطعام والشراب

عن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَاعِلًا فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ) « أخرجه الترمذى وابن ماجه »

المعنى

يدعو الحديث إلى ذم الشبع والإسراف فى تناول الطعام والشراب

وقد نهى عن ذلك القرآن بقوله : (وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين) وسبق شرحه

وإنما كان ملء البطن شراً لما فيه من المفاسد الدينية والدنيوية

فالشبع يورث البلادة ، ويعوق الذهن عن التفكير الصحيح ، وهو مدعاة الكسل والنوم الكثير ، ومن نام كثيراً قتل وقته الذى هو رأس ماله فى الحياة العملية ، فيخسر كثيراً من مصالحه الدينية والدنيوية وكم من أكلة كانت عاقبتها الكظة (البِطنة) ، وجلبت من الأضرار والأمراض ما لا قبل للإنسان به

ومن وصايا لقمان لابنه : يابنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، ورقدت الأعضاء عن العبادة ؛ وليس كذلك الحال فى الإقلال من الطعام والشراب ، فالقلب صاف ، والقريحة متقدة ، والبصيرة نافذة ، والشهوة مغلوبة ، والنفس مقهورة

وقد أرشدنا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقدار المناسب فى الطعام ، وهو ما يقيم الحياة، ويحفظ الصحة، ويمكن الإنسان من القيام بواجبه ، وإن كان لا بد مكثراً جعل الطعام والشراب ثلثى المعدة ، وترك ثلثها الباقى خالياً حتى يتمكن من التنفس بسهولة ، وذلك أن البطن إذا امتلأت ضغطت على الحجاب الحاجز ، فضغط على الرئتين فضاقت مجارى التنفس الذى هو ضرورى لإصلاح الدم الفاسد وتحويله إلى دم صالح تقوم به حياة الإنسان

فمحور الحديث مدح الاقتصاد فى الطعام والشراب، وذم الإسراف فيهما ، وهو ما يطلبه الطب، ويقوم به نظام العمل ، وتتوفر به للإنسان مصالحه الدينية والدنيوية ، وقد أيده صلى الله عليه وسلم بقوله :

(نَحْنُ قَوْمٌ لَا نَأْكُلُ حَتَّى نَجُوعَ ، وَإِذَا أَكَلْنَا لَا نَشْبَعُ)

٣— حديث فى النهى عن إكراه المرضى على الطعام

(لَا تُكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ عَلَى الطَّعَامِ فَإِنَّ اللهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ)

« عن عقبة بن عامر ـ رواه الترمذى »

المعنى

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : لا تكرهوا المرضى على تناول شىء من الطعام والشراب (إلا الدواء) حناناً ورفقاً بهم، فإن الله تعالى يتولى إطعامهم وسقيهم بمنحهم الصبر على الجوع وصرف ألمه عنهم أليست الحمية ، وهى الامتناع عن الطعام ، رأس الدواء وأنفعه وأجداه ؟

٤— حديث فى أن طعام العرس سنة

(طَعَامُ يَوْمٍ فِى الْعُرْسِ سُنَّةٌ ، وَطَعَامُ يَوْمَيْنِ فَضْلٌ ، وَطَعَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ رِيَاءٌ وَسُمْعَةٌ) « عن ابن عباس ، رواه الطبرانى »

المعنى

من الإعلان للعرس بسط الموائد تكريماً للأقارب والأصدقاء، وبراً بالمساكين والفقراء

وقد وضع الرسول حداً لما ينبغى فى العرس فقال :

طعام يوم (غداء وعشاء) أو أحدهما سنة

وطعام يومين لا ثواب عليه ولا عقاب

وطعام ثلاثة أيام رياءٌ وسمعةٌ ، أى شهرةٌ ليسمعه الناس ويروه، وهما ليسا من الدين فى شىء

٥ — حديث فى إكرام الضيف

(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)

« عن أبى هريرة »

إكرام الضيف يكون بحسن استقباله ، فيقابله بوجه باش ويظهر له السرور بحضوره ، ويقدم له خير ما عنده من الطعام والشراب ووسائل الراحة ، وإن كان ذا سعة والضيف فقيراً مدَّ إليه يد المعونة ، وودعه كما استقبله بالحفاوة والإكرام إلى غير ذلك

وقال العلماء : إن الضيافة الشرعية ثلاثة أيام ، وما زاد عليها فهو صدقة فنحن مأمورون بإكرام الضيف هذه الثلاثة الأيام ، وما زاد عليها فهو فضل من المضيف

أحاديث أخرى فى آداب الأكل والشرب [1]

١ — إذا أكل أحدكم طعاماً فليذكر اسم الله ، فإن نسى أن يذكر اسم الله فى أوله فليقل : بسم الله على أوله وآخره (عن عائشة)

٢ — إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل : اللهم بارك لنا فيه ، وأبدلنا خيراً منه

٣ — إذا أكل أحدكم طعاماً فلا يمسح يده بالمنديل حتى يلعقها (عن ابن عباس)

٤ — إذا أكل أحد فليأكل بيمينه ، وإذا شرب فليشرب بيمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله (عن أبى هريرة)

٥ — إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم ، فأطعمه من طعامه ، فليأكل ولا يسأل عنه ، وإن سقاه من شرابه فليشرب ولا يسأل عنه (عن أبى هريرة)

٦ — إذا دعى أحدكم إلى وليمة فليجب وإن كان صائماً (عن أبى أيوب)

٧ — إذا دعى أحدكم إلى طعام فليجب ، فإن كان مفطراً فليأكل ، وإن كان صائماً فليدع بالبركة (عن ابن مسعود)

٨ — إذا شرب أحدكم فلا يتنفس فى الإناء ، فإذا أراد أن يعود فلينح الإناء ثم ليعد إن كان يريد (عن أبى هريرة)

---

(١) أنظر آداب الأكل فى كتاب التربية الاجتماعية للمؤلف من ص ١٩١ الى ٢٠٢

٩ — إذا شربتم الماء فاشربوه مصاً ، ولا تشربوه عباً ، فإن العب يورث الكباد (وجع الكبد) (عن على)

١٠ — أصل كل داء البرَدة (عن أبى سعيد)

أى أصل كل داء من الأدواء المورثة لضعف المعدة وفسادها (البرَدة أى التخمة)

١١ — أطعموا الطعام وأفشوا السلام تورثوا الجنان

(عن عبد الله بن الحرث)

١٢ — أطعموا طعامكم الأتقياء، وأولو معروفكم المؤمنين

(عن أبى سعيد)

لأن التقى يستعين به على التقوى ، فتكونوا شركاء له فى طاعته ، وأولو معروفكم المؤمنين ، أى الذين حسنت أخلاقهم وأحوالهم فى معاملة ربهم ، فتجملوا فى القيام بانفاقهم، وفعل صنوف المعروف معهم

١٣ — إن أطيب ما أكلتم من كسبكم ، وإن أولادكم من كسبكم

(عن عائشة)

١٤ — شر الطعام طعام الوليمة ، يمنعها من يأتيها ، ويدعى إليها من يأباها ، ومن لا يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله

(عن أبى هريرة)

١٥ — الضيافة ثلاثة أيام ، فما زاد فهو صدقة ، وعلى الضيف أن يتحول بعد ثلاثة أيام (عن أبى هريرة)

١٦ — ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده (عن المقدام)

١٧ — من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر (عن جابر)

١٨ — المؤمن يأكل فى معى واحد ، والكافر فى سبعة أمعاء (عن أبى موسى)

أى المؤمن يأكل بقدر الحاجة ، فكأنه يأكل فى معى واحد ، والكافر لشدة شرهه كأنه يأكل فى سبعة أمعاء ، والمؤمن أيضاً يبارك الله له فى قليل ، والكافر لا يبارك له فى كثير ، فذكر السبعة كناية عن الكثرة ، ومن شأن العرب ذلك ، كالسبعين والسبعمائة

١٩ — نهى عن كل مسكر ومفتر (عن أم سلمة)

أى نهى عن كل مشروب يحدث السكر ، وكل طعام أو مشروب يورث الفتور والخدر ، كالحشيش وغيره من أنواع المخدرات ، كالأفيون و « الهروين » وغيرهما فإنها مذهبة

للفعل ، مضرة بالصحة ، مجلبة لسوء الحال ، مضيعة للمال

٢٠ — نهى عن النفخ فى الطعام والشراب (عن ابن عباس)

لأن النفخ فى الطعام الحار ليبرد يؤذن بشدة الشره وقلة الصبر ، والنفخ فى الشراب يكره لأنه يغير رائحة الماء

هذا ما وفقنا الله لوضعه فى الآداب الإسلامية طبقاً للكتاب والسنة وكان الفراغ من تأليفه فى يوم الأحد ١٨ ذى القعدة الموافق ٣١ يناير سنة ١٩٣٧ ، والانتهاء من طبعه فى يوم الإثنين ٢٦ ربيع الثانى سنة ١٣٥٦ الموافق ٥ يوليه سنة ١٩٣٧

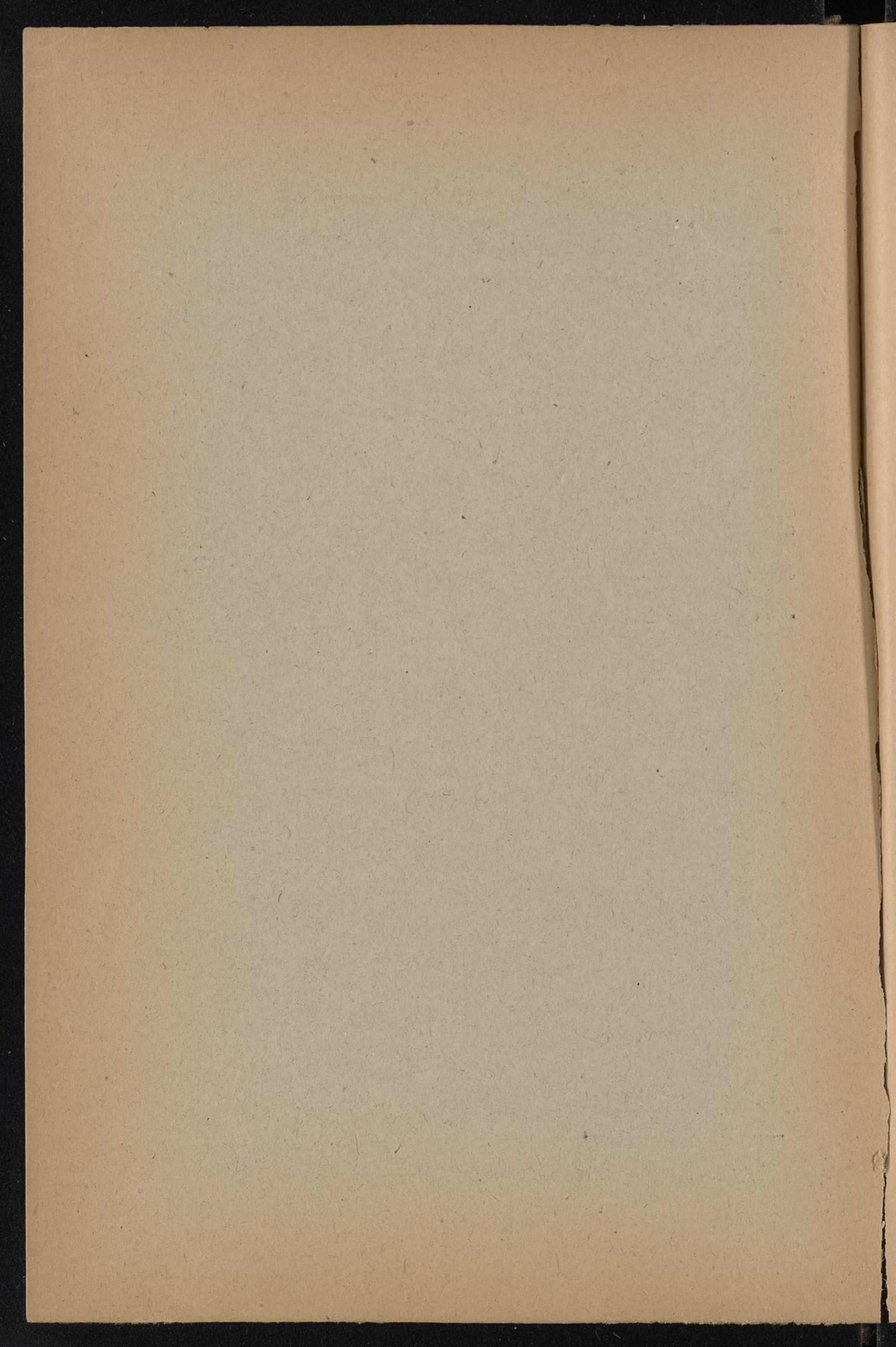
والحمد لله وحده أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً

ونسأله تعالى حسن الختام ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين

مافاح مسك ختام ولاح بدر تمام

آمين

فهرست





للأستاذ المربى على افندى فكرى
الأمين الأول ورئيس المغيرين بدار الكتب المصرية

الجزء الأول

يشمل مختصر قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورين فى القرآن الكريم وهم : آدم ـ ادريس ـ هود ـ شعيب ـ داود ـ سليمان أيوب ـ يوسف ـ هارون ـ زكريا ـ يحيى ـ اسماعيل ـ يونس . الى آخره

الجزء الثانى

يشمل مختصر سير أولى العزم من الرسل وهم :
نوح ـ ابراهيم ـ موسى ـ عيسى ـ محمد صلى الله عليهم وسلم

الجزء الثالث

يشمل مختصر سير الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم

الجزء الرابع

يشمل مختصر سير أئمة الدين وبعض الصالحين

الجزء الخامس

يشمل مختصر سير أمهات المؤمنين وبعض الشهيرات من النساء المسلمات

